

تجريد التوحيد المفيد

للشيخ الإمام

تقي الدين أحمد بن علي المقريزي

المتوفي عام ٨٤٥هـ

تحقيق وتعليق

ياسين بن علي بن سالم الحوشبي العدني



مكتبة الإمام الوادعي

تجريد التوحيد المفيد

للشيخ الإمام

تقي الدين أحمد بن علي المقريزي

المتوفى سنة ٨٤٥هـ

تعليق وتحقيق

ياسين بن علي بن سالم الحوشبي العدني



الطَّبعَة الأُولى

١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م

رقم الإيداع: ٩٦٥١ / ٢٠٠٧م

مكتبة الإمام الوادعي

اليمن - دار الحديث بدماج - أمام مسجد أهل السنة



جمهورية مصر العربية - القاهرة
جوال: ٠٢٠١٢/٤٦١٨٣٣٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله لا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

قال الله سبحانه وتعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا الله الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ الله كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء:١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ الله وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد؛

فإن ما سبق من الآيات التي تسمى بخطبة الحاجة فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلوها بين يدي موعظته أو خطبته أو غير ذلك ، وهذه الآيات اهتمت بذكر «التقوى» والأمر به .

وحقيقة «التقوى» : هو أن يجعل العبد وقاية له تقيه من عذاب ربه عز وجل في ذلك اليوم : ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى الله بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[الشعراء ٨٨].

فلا بد من القلب السليم ؛ والسلامة ههنا تشمل السلامة من الشرك ومن البدع

بل وكل ما يفسد الأعمال الصالحة أو يكدر صفاءها .

فعلى العبد أن يهتم بهذا الشأن غاية الاهتمام ، لكونه وسيلة إلى النعيم المقيم ، والفوز العظيم.

وهذا هو إمام الموحدين قد جاء بهذا القلب كما قال سبحانه : ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ * إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[الصافات :٨٣].

يفسرها قوله تعالى : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل :١٢٠].

فلزامًا لزامًا من الإتيان بهذا القلب ، وهذا لا يكون إلا بشرطين اثنين :

١) إخلاص العمل لله.

٢) متابعة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

فالأول ينجيك من الشرك ، والثاني ينجيك من البدع .

ولا أطيل في بيان هذا المقام العظيم والتفصيل فيه ، فإنَّ بين أيدينا رسالة هذا موضوعها ، وقد استدل لها المؤلف – رحمه الله – من الكتاب والسنة وكلام الأئمة.

ولما قرأتها أعجبت بها فعزمت على تحقيقها وشرحها.

فالله أسأل أن يجعل أعمالنا خالصة له وحده ، وأن يرزقنا اتباع سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، والحمد لله.

كتبه

ياسين بن علي بن سالم الحوشبي العدني

ترجمة المصنف[١]

أولًا : (اسمه):

هو أحمد بن علي بن عبدالقادر بن محمد بن إبراهيم الحسيني العبيدي البَعْليّ الأصل القاهري أبو العباس[٢].

الإمام البارع ، والمتقن الضابط ، عمدة المؤرخين وعين المحدثين.

يعرف بـ«ابن المقريزي»[٣] وهي نسبة لحارة في بعلبك ، تعرف بحارة المقارزة ، وكان أصله منها.

ثانيًا : (مولده ووفاته):

ولد رحمه الله سنة (٧٦٦هـ) في مصر.

قال السخاوي : كان مولده حسبما كان يخبر به ويكتبه بخطِّه بعد الستين [٤] .

وقال شيخنا - يعني ابن حجر- إنه رأى بخطه ما يدل على تعيينه في سنة ست وستين وذلك بالقاهرة.أ.هـ.

---

(١) اعتمدت في ترجمته على :« الضوء اللامع» (١/ ٢١) و «إنباء الغمر» (٩/ ١٧٠) ، و«شذرات الذهب» (٤/ ٢٥٤) ، «والبدر الطالع»(١/ ٧٩) ، و«هدية العارفين» (٥/ ١٢٧) ، و«النجوم الزاهرة»(١٥/ ٢٢٥)، و«الأعلام»(١/ ١٧٧).

(٢) وفي غلاف المخطوطة : أبو محمد وأبي العباس.

(٣) بفتح الميم كما في «هدية العارفين».

(٤) يعني بعد السبعمائة.

ووقع في «هدية العارفين» : ولد سنة (٧٦٩هـ) أ.هـ.

قلت : لعله خطأ مطبعي والله أعلم.

وقال ابن العماد : وُلد بعد سنة ستين وسبعمائة .أ.هـ.

أما وفاته : ففي عصر يوم الخميس السادس عشر من رمضان سنة خمس وأربعين وثمانمائة في مصر ، ودفن يوم الجمعة قبل الصلاة.

وقال ابن تغري بَرْدي : ووهم قاضي القضاة بدر الدين محمود العيني في تاريخ وفاته ، فقال : في يوم الجمعة التاسع والعشرين من شعبان.أ.هـ.

ثالثًا : (شيوخه):

اشتغل – رحمه الله – بالعلم كثيرًا ، وطاف على الشيوخ ، ولقي الكبار وجالس الأئمة وأخذ عنهم وتفقَّه.

وقد بلغ عدد كبار شيوخه ستمائة نفس ، ومن أبرزهم :

١) جده لأمه الشيخ شمس الدين الصَّائغ الأديب المشهور.

٢) السراج البلقيني.

٣) زين الدين العراقي.

٤) ابن خلدون.

٥) الهيثمي.

٦) التنوخي. وغيرهم من علماء الشام ومكة.

وقد أجازه جماعة من العلماء.

قال الحافظ ابن حجر : وسمع من شيوخنا وممن قبلهم قليلًا.

رابعًا : (مذهبه):

تأثر المقريزي – رحمه الله – في بادئ أمره بالمذهب الحنفي تبعًا لجدِّه ابن الصائغ ثم بعد أن ترعرع وجاوز العشرين من عمره تحوَّل إلى المذهب الشافعي .

قال السخاوي : وهذا مع كون والده وجده حنبليين.أ.هـ.

وقال الحافظ : وأحبَّ اتباع الحديث فواظب على ذلك حتى كان يُتَّهم بمذهب ابن حزم ولكن كان لا يعرف به.

وقال أيضًا : كان محبًا لأهل السنة يميل إلى الحديث والعمل به حتى نسب إلى الظاهر .أ.هـ.

وقال ابن العماد : كان كثير التعصب على السادة الحنفية وغيرهم لميله إلى مذهب الظاهر.أ.هـ.

خامسًا : (عقيدته):

إن الزمن الذي عاشه الشيخ المقريزي – رحمه الله – وما قبله وما بعده كان زمنًا تكثر فيه ثلاثة أمور خاصة:

١- التمشعر . ٢- التصوف. ٣- علم الكلام والفلسفة.

ولا شك بوجود مذهب الجهمية والمعتزلة والرافضة وغير ذلك ، غير أن الذي كان يسود هو الذي ذكرته.

والمقريزي – رحمه الله – بعيد من الانتساب لهذه الأمور الثلاثة ، بل الذي لا أشك فيه أنه كان على مذهب السلف في عقيدته، فقد قال في كتابه «الخطط»(٤/ ١٨١): بل كلهم – يعني الصحابة – فهموا معنى ذلك – يعني نصوص الصفات – وسكتوا عن الكلام في الصفات ولا فرق أحد منهم بين كونها صفة ذات ، أو صفات فعل ، وإنما

أثبتوا له صفات أزلية من العلم والقدرة ...

وساقوا الكلام سوقًا واحدًا ، وهكذا أثبتوا – رضي الله عنهم – ما أطلق الله سبحانه على نفسه الكريمة من الوجه واليد ونحو ذلك مع نفي مماثلة المخلوقين ، فأثبتوا – رضي الله عنهم – بلا تشبيه ونزهوا من غير تعطيل ، ولم يتعرض مع ذلك أحد منهم إلى تأويل شيء من هذا ورأوا بأجمعهم إجراء الصفات كما وردت....

وقال أيضًا (ص:١٩٠): ولم يبلغنا عن أحد من الصحابة والتابعين وتابعيهم أنهم أولوا هذه الأحاديث .... وإنه إذا نزل القرآن بصفة من صفات الله تعالى كقوله تعالى :﴿يد الله فوق أيديهم﴾ فإن نفس تلاوة هذا مبيِّنة للمعنى المقصود...

ثم ذكر صفة الاستواء وردَّ على من قال إنها : الاستيلاء.

فهذا الكلام منه واضح في بيان معتقده ، فإثباته لليد والوجه ، والرد على من فسر «الاستواء» بالاستيلاء دليل على سلامة معتقده في هذا الباب وأنه لا ينتسب إلى المذهب الأشعري.

هذا أمر ، وأمر آخر فإنه في هذه الرسالة - كما سيأتي – يشير إلى مذهب الأشاعرة في بعض الأمور لكنه لم يصرح بهم ، والذي يظهر لي أن عدم تصريحه لمخالفته للأشاعرة هو ما كان في ذلك الزمن من قوَّتهم وابتعاده من مكرهم .

قال – رحمه الله – في «الخطط» (٤/ ١٨٥): حيث تكلم على انتشار مذهب الأشاعرة ، قال : بحيث نُسي غيره من المذاهب ، وجهل حتى لم يبق اليوم مذهب يخالفه إلا أن يكون مذهب الحنابلة....إلخ.

وقال أيضًا (ص: ١٦١) : فاستمر الحال على عقيدة الأشعري بديار مصر وبلاد الشام وبأرض الحجاز واليمن وبلاد المغرب أيضًا لإدخال محمد بن تومرت رأي

الأشعري إليها حتى أنه صار هذا الاعتقاد بسائر هذه البلاد بحيث إنَّ من خالفه ضرب عنقه والأمر على ذلك إلى اليوم .أ.هـ.

* وأما عن علم الكلام والفلسفة :

فقد قال (ص:١٨١) من الكتاب المذكور : ولا عرف أحد منهم – يعني الصحابة – شيئًا من الطرق الكلامية لا مسائل الفلسفة.أ.هـ.

وقال (ص:١٨٣) في الكلام على المعتزلة : وأكثروا من التصنيف في نصرة مذهبهم بالطرق الجدلية ، فنهى أئمة الإسلام عن مذهبهم ، وذموا علم الكلام وهجروا من ينتحله.أ.هـ.

* **وأما التصوف** : ففي رسالته هذه يتضح لنا أن المقريزي – رحمه الله – ليس منهم البتة ، بل قد ذكر بعض المسائل المشهورة عند أهل التصوف وردها رحمه الله – وقد يصرخ بهم في بعض الأحيان.

فحاصل الأمر وخلاصته : أن الإمام المقريزي – رحمه الله – يسير على نهج السلف في باب الاعتقاد لا سيما في باب الأسماء والصفات ، وقد قال – رحمه الله- وأصل كل بدعة في الدين البعد عن كلام السلف و الانحراف عن اعتقاد الصدر الأول .أ.هـ.(٤/ ١٩١).

وقد كان على معرفة بشيخي الإسلام : الإمام ابن تيمية وابن القيم ، أما ابن القيم فقد أكثر عنه النقل في رسالته هذه ، ولكن لم يسمه كما سيأتي.

وأما ابن تيمية فقد قال المقريزي في «الخطط» (٤/ ١٨٥) : اشتهر بدمشق وأعلـ

تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحكم[١] بن عبدالسلام بن تيمية الحراني، فتصدى للانتصار لمذهب السلف وبالغ في الرد على مذهب الأشاعرة وصدع بالنكير عليهم وعلى الرافضة وعلى الصوفية .... ثم ذكر افتراق الناس فيه . والله أعلم . والحمد لله.

سادسًا : (وظائفه) :

وَلِيَ – رحمه الله – حسبة القاهرة غير مرَّة ، وعرض عليه قضاء دمشق فأبى وقد ناب في الحكم وكتب التوقيع ، وولي الخطابة والإمامة وقراءة الحديث.

سابعًا:(مؤلفاته):

قال ابن العماد : كتب – رحمه الله – الكثير بخطه ، وانتقى وحصَّل الفوائد ، واشتهر ذكره في حياته ، وبعد موته في التاريخ[٢]، وغيره حتى صار يضرب به المثل.أ.هـ.

وقال ابن حجر : وأولع بالتاريخ فجمع منه شيئًا كثيرًا ، وصنَّف فيه كتبًا .أ.هـ.

ومن مؤلفاته :

١– «إمتاع الأسماع بالنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع» وهو مطبوع.

٢– «السلوك لمعرفة دول الملوك» وهو مطبوع.

---

(١) هكذا والصواب بن عبدالحليم.

(٢) وقد غمزه السخاوي في عدم ضبطه للتاريخ ، قال الشوكاني في «البدر» (١/ ٨١) : كان متبحرًا في التاريخ على اختلاف أنواعه ، ومؤلفاته تشهد بذلك وإن جحده السخاوي ، فذلك دأبه في غالب أعيان معاصريه.أ.هـ.

٣- «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار» وهو مطبوع.

٤- «تجريد التوحيد المفيد» . وهو كتابنا هذا وغيرها كثير حتى قال السخاوي : قرأت بخطِّه أن تصانيفه زادت على مائتين مجلد كبار.أ.هـ.

إثبات الرسالة إلى مؤلفها

نسب السخاوي هذه الرسالة :«تجريد التوحيد» للمقريزي كما في «الضوء اللامع»(١/ ٢٣).

وقد اعتمدتُ في إخراج هذه الرسالة على مخطوطة جيدة النسخ.

وقد فرغت – كما في آخر المخطوطة – سنة (١٠٥٧هـ)[1].

وهذا بعض الوريقات منها:

---

(١) وقد كنت قابلتها بالمطبوع الذي حققه علي بن حسن الحلبي ، وبيَّنتُ في حواشي هذه الرسالة ما خالف المخطوط منها . والحمد لله.

تأليف الشيخ الإمام العالم العلامة البحر الحجة

عمدة تقي الدين أبي محمد

علي المقريزي الشافعي

وقف هذا الكتاب السيد حسين عارف المتكلمي على

الأزهر وقرره في رواق الشوام

صفحة الغلاف من المخطوطة المذكورة

بسم الله الرحمن الرحيم وحسبي

رب العالمين والعاقبة للمتقين على

نبينا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين

هذا الكتاب جم الفوائد بديع الفرائد ينتفع به من أراد الله

والدار الآخرة كتاب تجريد التوحيد المفيد

أسأل الله العون على العمل به ان الله سبحانه هو رب

كل شيء ومالكه وإلهه فهو رب يربب ربا فهو

رب تعالى رب العالمين رب العالمين فإن

الرب سبحانه وتعالى هو الخالق الموجد لعباده القائم بتربيتهم

وإصلاحهم المتكفل بصلاحهم من خلق ورزق وعافية وإصلاح

دين ودنيا كون العباد يتخذونه سبحانه محبوبا

مألوها ويفردونه بالحب والخوف والرجاء والإخبات والتوبة

والنذر والطاعة والطلب والتوكل ونحو هذه الأشياء

حقيقته أن ترى الأمور كلها من الله تعالى رؤية تقطع

الالتفات عن الأسباب والوسائط فلا ترى الخير والشر إلا منه تعالى

المقام يثمر التوكل وترك شكاية الخلق وترك لومهم والرضا

عن الله والتسليم لحكمه إن

الربوبية منه تعالى لعباده والتأله من عباده له سبحانه كما أن

الرحمة هي الوصلة بينهم وبينه عز وجل إن التعبد

والحمد

الصفحة الأولى من المخطوطة

فيه الواجبات [illegible] ونحو ذلك من أعمال
القلوب التي هي فرضها آكد من فروض أعمال الجوارح ومستحبها
أحب إلى الله تعالى من مستحب أعمال الجوارح
فكالصلاة والجهاد ونقل الأقدام إلى الجمعة والجماعات
ومساعدة العاجز والإحسان إلى الخلق ونحو ذلك
في صلاته [illegible] أحكام هذه الأربعة
[illegible] وإياك نستعين طلب الإعانة عليها
والتوفيق لها اهدنا الصراط المستقيم متضمن
للأمرين على التفصيل وإلهام القيام بهما وسلوك طريق
السالكين إلى الله بمنه وكرمه والحمد لله وحده
وصلى الله على من لا نبي بعده وآله وصحبه وأزواجه
وحزبه صحح جهد الطاقة وبلغ المقدرة
جامعه ومؤلفه أحمد بن علي المقريزي في شعبان سنة
احدى وأربعين وثمانمائة وصلى الله على سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا
علقها لنفسه بيده الفانية الفقير
إلى الله تعالى محمد بن محمد
الشاذلي الطولوني

الصفحة الأخيرة من المخطوطة



بسم الله الرحمن الرحيم

وهو حسبي[(١)]

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، وصلى الله على نبينا محمد خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه أجمعين[(٢)].

و بعد[(٣)]، فهذا كتاب جمٌّ الفوائد بديع[(٤)] الفرائد[(٥)]، ينتفع به من أراد الله

---

(١) جملة «وهو حسبي» ليست في المطبوع.

(٢) المؤلف - رحمه الله - ذكر الصلاة على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم دون السلام.

والذي درج عليه أكثر السلف هو الجمع بينهما لقوله تعالى: ﴿ صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾.

وقد صرح بعض العلماء - كالنووي وابن الملقن- بكراهة انفراد أحدهما دون الآخر، وحجتهم الآية السابقة.

وفي المسألة أقوال أخرى.

انظر «الأذكار» للنووي (٣/ ٣٣١) مع «الفتوحات الربانية»، و«تفسير ابن كثير» (الأحزاب) آية (٥٦) و«المقنع في علوم الحديث» (١/ ٣٥٣)، «روح المعاني» (سورة الأحزاب) آية (٥٦) للآلوسي.

(٣) في المطبوع «أما بعد».

(٤) بَدَعَ الشيء يبدعه بدْعًا، وابتدعه: أنشأه وبدأه، والبديع والبدْع: الشيء الذي يكون أولًا. أ.هـ. من «لسان العرب».

(٥) الفرائد: جمع الفريدة، وهي الجوهرة التي لانظير لها.

والفرائد في البديع: الإتيان بلفظة تتنزَّل منزلة الفريدة من العقد، تدل على عظم فصاحة الكلام وجزالة منطقه وأصالة عربيته؛ بحيث لو أسقطت من الكلام عزَّت على الفصحاء.

والدار الآخرة .. سميته « **كتاب**[١] **تجريد التوحيد المفيد** » .

والله أسأل العون على العمل به[٢] بِمَنِّهِ .

اعلم أن الله سبحانه هو ربُّ كلِّ شيء ومالكه وإلهُهُ .

فالرب مصدر : ربَّ يَرُبُّ رَبًّا فهو رابٌّ[٣] : فمعنى قوله تعالى : ﴿ **رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ : رابِّ العالمين ، فإن الرب سبحانه وتعالى هو الخالق المُوجِد لعباده ، القائم بتربيتهم وإصلاحهم المتكفِّل بصلاحهم من خَلقٍ ورزقٍ وعافية وإصلاح دين ودنيا.

والإلهية[٤] كون العباد يتخذونه سبحانه محبوباً مألوهاً ويفردونه بالحب

انظر «الكليات» لأبي البقاء (ص:٦٩٧).

(١) ليست في المطبوع.

(٢) «به» ليست في المطبوع.

(٣) على زنة «اسم الفاعل» ، ومن سواه سبحانه فهو «مربوب» على زنة «اسم المفعول» والصفة منه «الربوبيَّة».

انظر «اشتقاق الأسماء» (ص:٣٢-٣٣) للزجاجي.

(٤) قال الألوسي : واشتقاق – يعني «الله» – من أَلَهَ كـ«عَبَدَ» ، إلاهة كـ«عبادة» وألوهة كـ«عبودة» و ألوهيَّة كـ«عبوديَّة» .أ.هـ. روح المعاني (١/ ٩٦).

قلت: فالألوهية مصدر «أَلَه» وهي العبودية.

والخوف والرجاء والإخبات[1] والتوبة والنذر والطاعة والطلب[2] والتوكل، ونحو هذه الأشياء. فإن التوحيد حقيقته: أن ترى الأمور كلها من الله تعالى رؤيةً تقطع إلتفاتك[3] إلى الأسباب[4] والوسائط.

---

(١) الإخبات: هو الخشوع والتواضع، وأصل الخَبْت: المطمئن من الأرض، وأَخْبتَ الرجل: قصد الخبت، أو نزله. ثم استعمل الإخبات استعمال اللِّين والتواضع، قال الله تعالى: ﴿وأخبتوا إلى ربهم﴾ وقال: ﴿وبشر المخبتين﴾ أي: المتواضعين، وقوله: ﴿ فتخبت له قلوبهم﴾ أي: تلين وتخشع، والإخبات هنا قريب من الهبوط في قوله تعالى: ﴿وإن منها لما يهبط من خشية الله﴾.

انظر «مفردات ألفاظ القرآن» (ص:٢٧٢) للراغب.

(٢) أي الدعاء.

(٣) في المطبوع «الإلتفات».

(٤) الالتفات إلى الأسباب ضربان:

- التفات اعتماد واطمئنان إليها بحيث يعتقد أنها هي بذاتها محصِّلة للمقصود وذلك كالدواء إذا ظن أنه بمفرده يحصل به الشفاء فهذا شرك بالله.
- والآخر: إلتفات امتثال بحيث تنزَّل منازلها فهذا حق.

انظر «مدارج السالكين» (٣/ ٤٩٩).

فلا ترى الخير والشر إلا منه تعالى[١] .

وهذا المقام[٢] يثمر التوكل ، وترك شكاية الخلقِ ، وترك لومهم ، والرضا عن الله تعالى والتسليم لحكمه .

وإذا عرفت ذلك فاعلم أن الربوبية منه تعالى لعباده[٣] ، والتَّألُّهَ من عباده له سبحانه[٤]، كما أن الرحمة هي الوصلة بينهم وبينه عز وجل[١].

---

(١) أقول : هذا الذي ذكره عن حقيقة التوحيد ليس بصحيح ، فإنه يحصر فيه توحيد الربوبية فقط ، وهذا تمامًا هو معتقد الصوفية والمتكلمة الذين يجعلون توحيد الربوبية هو الغاية والمنتهى ليكون العبد من الأولياء .

انظر الاقتضاء (٢/ ٨٤٦) ، و«التدمرية» (ص:١٨٥-١٨٨) و«درء التعارض» (١/ ٢٢٥).وهذا باطل لا بد من توحيد الألوهية ، فالصحيح أن يقال في حقيقة التوحيد كما قال شيخ الإسلام : أن لا يشركه شيء من الأشياء فيما هو من خصائصه .أ.هـ. «الفتاوى »(٣/ ٧٤).

أقول : فهذا يشمل سائر أنواع التوحيد الثلاثة .

وهذا هو ما سيذكره المؤلف بقوله : ولباب التوحيد أن يرى....إلخ كما سيأتي.

والذي جعل المؤلف يخطئ هنا أنه نقل هذا الكلام من «إحياء علوم الدين» للغزالي (١/ ٣٧٦-٣٧٩) مع «إتحاف السادة » والغزالي معلوم تخبطه في هذا الفن . والله المستعان.

(٢) أي مقام الربوبية الذي هو إفراد الله بالخلق والتدبير والملك....

(٣) حيث رباهم ورزقهم ودبر شؤونهم ....

(٤) حيث يقصدونه بالعبادة ، فكل عباده يعلمونها فهي صادرة منهم له عز وجل.

فائدة : العلاقة بين توحيد الألوهية والربوبية أنهما : إذا اجتمعا افترقا ، وإذا افترقا اجتمعا ، فمثال

واعلم أن أَنْفس الأعمال وأجلَّها قدراً توحيد الله تعالى، غير أن التوحيد له قشران(٢):

=

اجتمعا قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ﴾ [الناس: ١-٣].

فيكون لكل واحد تعريفه كما سبق.

ومثال انفراد الربوبية قول الملك للرجل في قبره: «مَنْ رَبُّك» فيكون شاملًا لتوحيد الألوهية؛ لكون الربوبية التي جاء بها المشركون لا يمتحن أحد بها، ومنه قوله تعالى ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللهُ﴾[الحج: ٤٠].

ومثال انفراد الألوهية ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ﴾[محمد: ١٩].، فهي شاملة للربوبية أيضًا.

انظر: «الدرر السنية» (١/ ١٠٦/ ١٠٧) و(٢/ ٦٥).

(١) قال ابن القيم: « وأما الرحمة فهي التعلق، والسبب الذي بين الله وبين عباده، فالتأليه منهم له، والربوبية منه لهم، والرحمة سبب واصل بينه وبين عباده، بها أرسل إليهم رسله، وأنزل عليهم كتبه، وبها هداهم، وبها أسكنهم دار المثوبة، وبها رزقهم وعافاهم وأنعم عليهم، فبينهم وبينه سبب العبودية وبينه وبينهم سبب الرحمة .أ.هـ . انظر: «مدارج السالكين» (١/ ٣٥).

(٢) هذه العبارة هي من كلام الغزالي - كما سبق - .

والقِشر من كل شيء: غلافه خِلقة أو عرضًا، كقشر البرتقال والدُّمَّل .أ.هـ. من «المعجم الوسيط»(ص:٧٣٦).

أقول: فلعلَّ مقصد المؤلف من هذا اللفظ: أن هذين القشرين حافظان وحاميان للتوحيد، غير أن هذا المصطلح صار يعبر في هذا الزمن عن الأمور السطحية والفرعية التي لا يهتم بها.

قال الشيخ بكر أبو زيد في «معجم المناهي»: تسمية فروع الدين قشورًا، وأركانه لبابًا، هذا من فاسد الاصطلاح وأظنه خطرًا فتوقَّه ... ولولا القشر لفسد اللباب، و مثله في المنع في عبارات

الأول : أن تقول بلسانك: لا إله إلا الله ، ويسمى هذا القول توحيداً ، وهو مناقض للتثليث[١] الذي تعتقده النصارى ، وهذا التوحيد يصدر أيضاً من المنافق الذي يخالف سرُّه جهرَه .

والقشر الثاني : أن لا يكون في القلب مخالفة ولا إنكار لمفهوم هذا القول ، بل يشتمل القلب على اعتقاده ذلك والتصديق[٢] به وهذا هو توحيد عامة الناس .

ولباب[٣] التوحيد : أن يرى الأمور كلها من الله[٤] تعالى ، ثم يقطع الالتفات

=

المعاصرين : هذه أمور سطحية أو فرعية أو هامشية ليست ذات بال ....أ.هـ.

قلت: فلو عبر المؤلف بالأصل بدل (القشر) كان أفضل ، والله المستعان.

(١) التثليث معتقد نصراني حيث يعتقدون أن الربَّ له ثلاث حالات:

١- الأب .

٢- الابن.

٣- روح القدس.

ثم يختلفون في تفسير هذه الحالات التي يسمونها بـ« الأقانيم». راجع تعليقنا على «شرح العقيدة الطحاوية» (ص: ٣٣-٣٤).

وقد أكفرهم الله فقال : ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ الله ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ﴾[المائدة :٧٤] .

(٢) وهذا ما يسمى بـ« الإذعان» : الذي هو تسليم القلب ورضاه لحقيقة ما علمه.

(٣) اللُّباب : لب كل شيء : خالصه ، ولبَّ النخلة : قلبها ، ولبّ الجوز واللوز ونحوهما : ما في جوفه. انظر:« المصباح المنير» (ص:٢٠٨).

(٤) في المطبوع : «لله».

إلى الوسائط ، وأن يعبده سبحانه عبادة يفرده بها ، ولا يعبد غيره ، ويخرُج[١] هذا التوحيد عن[٢] اتباع الهوى ، فكل من اتبع هواه ؛ فقد اتخذ هواه معبوده ، قال الله تعالى ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ﴾[الجاثية :٢٣].

وإذا تأملت عرفت أن عابد الصنم[٣] لم يعبده ، إنما عبد هواه ، وهو ميل نفسه إلى دين آبائه فيتبع ذلك الميل ، وميل النفس إلى المألوفات أحد المعاني التي يعبر عنها بالهوى[٤] ، ويخرج[٥] هذا التوحيد عن[٦] السخط[٧] على الخلق والالتفات إليهم

---

(١) في المطبوع : «ويخرج عن...» .

(٢) ليس في المطبوع : « عن ...» .

(٣) الصنم : هو ما اتخذ إلهًا من دون الله تعالى ، وقيل هو ما كان له جسم أو صورة فإن لم يكن له جسم أو صورة فهو وثن. انظر «النهاية» (٣/ ٥٦) لابن الأثير.

وقال في :«الكليات» (ص:٣١٥): والصنم :ما كان من حجر، والوثن عام .أ.هـ.

(٤) جميع المعاصي والبدع إنما تنشأ من تقديم الهوى على الشرع ، والمعروف في استعمال الهوى عند الإطلاق : أنه الميل إلى خلاف الحق ، كما قال الله تعالى ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾[ص:٢٦].

انظر : «جامع العلوم» (ص:٣٩٧-٣٩٨) لابن رجب.

(٥) في المطبوع :«ويخرج عن ...» .

(٦) ليس في المطبوع : «عن» .

(٧) السَّخْط والسُّخْط : هو الغضب . «مختار الصحاح».

فإن من يرى الكل من الله كيف يسخط على غيره أو يؤمِّل[١] سواه ؟! وهذا التوحيد مقام الصديقين[٢].

ولا ريب أن توحيد الربوبية لم ينكره المشركون[٣] ، بل أقروا بأنه سبحانه وحده خالقهم وخالق السماوات والأرض ، والقائم بمصالح العالم كله ، وإنما أنكروا توحيد الإلهية والمحبة[٤] كما قد حكى الله تعالى عنهم في قوله : ﴿وَمِنَ

---

(١) في المطبوع : «يأمل».

(٢) أي هنا ينتهي كلام الغزالي الذي نقل عنه المصنف.

(٣) أي من حيث الجملة ، قال ابن أبي العز الحنفي : وكثير من مشركي العرب وغيرهم قد يظن في آلهته شيئًا من نفع أو ضر بدون أن يخلق الله ذلك .أ.هـ. من «شرح العقيدة الطحاوية»(ص:٤٥).

وهذا ما سيقرره المؤلف هٰهنا (ص:)، و(ص:)..

أقول : ويؤيد هذا ما رواه البخاري ومسلم عن زيد بن خالد الجهني - رضي الله عنه - قال : صلى لنا رسول الله ﷺ بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال : «هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر ، فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب ، وأما من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا ، فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب».

فقوله : «مطرنا بنوء كذا وكذا» : قال جمهور العلماء - وهو قول الشافعي - نسبة المطر إلى النوء نسبة إيجاد وإنشاء ، وهذا ما كان يزعمه أهل الجاهلية من المشركين .

انظر : تعليقنا على «شرح الطحاوية».

(٤) المحبة أنواع ، والمقصود بها ههنا هي محبة العبودية المستلزمة للذل والخضوع وعمل الطاعة ، وإيثاره على غيره، فلا يجوز تعلقها وصرفها لغير الله ، ومن أحب العبد بها كان مشركًا شركًا أكبر ، لا

النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ الله أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ الله وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا للهِ ﴾[البقرة :١٦٥]. فلما سووا غيره به في هذا التوحيد كانوا مشركين ، كما قال الله تعالى :﴿ الْحَمْدُ للهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ[1] ﴾[الأنعام :١] ، أي يسوون غيره به ، وقال الله تعالىٰ :﴿وهم بربهم يعدلون﴾.[2]

وقد علّم الله سبحانه وتعالى عباده كيف[3] مباينة[4] أهل[5] الشرك في توحيد الإلهية ، وأنه تعالى حقيق بإفراده وليّاً وحَكَماً وربّاً ، فقال تعالى : ﴿ قُلْ أَغَيْرَ الله

=

يغفره الله له إلا بالتوبة.

وقولنا :«ومحبة عبودية»: خرج به المحبة المشتركة ، وهي أربعة أنواع :

١- محبة طبيعية : كمحبة الجائع الطعام.

٢- محبة إجلال وإعظام : كمحبة الولد والده.

٣- محبة إشفاق : كمحبة الوالد ولده.

٤- محبة أنس وإلف كمحبة الشريك في تجارة أو صناعة أو سفر أو غير ذلك فهذه لا يكون وجودها بين المخلوقين شركًا . راجع «حاشية ابن القاسم على كتاب التوحيد» (ص:٢٣٦-٢٣٧).

(١) في «تاج العروس »: عَدَلَ به : ساوى وعدل عنه : مال وحاد .أ.هـ.

(٢) من قوله : «أي يسوون ....إلىٰ ﴿يعدلون﴾ » ليس في المطبوع.

(٣) في المطبوع :« كيفية».

(٤) في « مختار الصحاح» المباينة : المفارقة .أ.هـ.

(٥) ليس في المطبوع : «أهل».

أَتَّخِذُ وَلِيًّا﴾[الأنعام: ١٤] ، وقال: ﴿ أَفَغَيْرَ الله أَبْتَغِي حَكَمًا ﴾[الأنعام :١١٤] ﴿قُلْ أَغَيْرَ الله أَبْغِي رَبًّا﴾[الإنعام : ١٦٤].

فلا وليَّ ولا حَكَمَ ولا رب إلا الله الذي من عَدَلَ به[١] غيره فقد أشرك في ألوهيتِهِ، ولو وَحَّدَ ربوبيته ، فتوحيد الربوبية هو الذي اجتمعت فيه الخلائق ، مؤمنها وكافرها ، وتوحيد الإلهية مَفْرَقُ[٢] الطرق بين المؤمنين والمشركين ، ولهذا كانت كلمة الإسلام : لا إله إلا الله ، فلو[٣] قال: لا رب إلا الله ، لما أجزأه عند المحققين[٤] ، فتوحيد الألوهية هو المطلوب من العباد . ولهذا كان أصل « الله » الإله ، كما هو قول سيبَوَيه ، وهو الصحيح وهو قول جمهور أصحابه ، إلا من شذ منهم[٥] .

وبهذا الاعتبار الذي قررنا به «الإله» ، وأنه المحبوب لاجتماع صفات االكمال

---

(١) انظر التعليق قبل السابق.

(٢) المفْرَق – بفتح الراء وكسرها – من الطريق : الموضع الذي يتشعب فيه طريق آخر.

انظر : «مختار الصحاح» و«المعجم الوسيط».

(٣) في المطبوع :«ولو».

(٤) إذ الرسل أجمعت في تبليغها على توحيد الألوهية :﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا الله وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ ومن أجله كانت العداوة والبغضاء ، وسفك الدماء.

(٥) انظر : «البدائع»(٢/ ٢٤٩) و(١/ ٢٢-٢٣).

فيكون أصله «الإله» فحذفت الهمزة منه ثم أدغمت اللام باللام فصارتا لامًا واحدة مشددة عند التلفظ بها.

فيه كان الله هو الاسم الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنى والصفات العليا[١]، وهو[٢] الذي ينكره المشركون ويحتج الرب سبحانه وتعالى عليهم بتوحيدهم ربوبيته على توحيد ألوهيته، كما قال الله تعالى: ﴿ قُلِ الْحَمْدُ للهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى اللهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ * أَمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَئِلَهٌ مَعَ اللهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾[النمل :٥٩و٦٠].

وكلما ذكر تعالى من آياته جملة من الجمل قال عقبها: ﴿اله مع الله﴾، فأبان سبحانه وتعالى بذلك أن المشركين إنما كانوا يتوقفون في إثبات توحيد الإلهية لا الربوبية[٣]، على أن منهم من أشرك في ربوبيته[٤] كما يأتي بعد ذلك إن شاء الله تعالى[٥].

وبالجملة فهو تعالى يحتج على منكري الإلهية بإثباتهم الربوبية، والمَلِك هو الآمر الناهي الذي لا يخلق خلقًا بمقتضى ربوبيته ويتركهم سدىً معطلين، لا

---

(١) وذلك بالدلالات الثلاث: التضمن والمطابقة والالتزام. انظر: «مدارج السالكين» (١/ ٣٢) وانظر ما قبل.

(٢) أي توحيد الألوهية.

(٣) وحاصل الأمر أن توحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية، وتوحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية، فلا ينفع من أتى بالربوبية دون الألوهية.

(٤) في المطبوع: «الربوبية».

(٥) قد سبق بيانه.

يؤمرون ولا ينهون ، ولا يثابون ولا يعاقبون ، فإن المَلِك هو الآمر الناهي المعطي المانع الضار النافع المثيب المعاقب[١] .

ولذلك جاءت الاستعاذة[٢] في «سورة الناس»، و«سورة الفلق» بالأسماء الحسنى الثلاثة : الرب والملك والإله ، فإنه لما قال : ﴿قل أعوذ برب الناس ﴾كان فيه إثبات أنه خالقهم، وفاطرهم ، فبقي أن يقال : لَـمَّـا خلقهم هل كلفهم وأمرهم ونهاهم ؟ قيل : نعم ، فجاء ﴿ملك الناس﴾ فأثبت الخلق والأمر[٣] .

فلما قيل ذلك قيل : فإذا كان ربًا موجِداً ومَلِكاً مكلِّفاً ، فهل يُحَبُّ وَيُرَغَبُ إليهِ، ويكون التوجه إليه غاية الخلق والأمر؟ قيل : ﴿ إله الناس﴾ أي : مألوهم ومحبوبهم الذي لا يتوجه العبد المخلوق ، المكلَّف ، العابد إلا له ، فجاءت الإلهية خاتمة وغاية[٤] وما قبلها كالتوطئة لها[١] .

---

(١) انظر بحثًا في اسمه تعالى :« المَلِك» في «شفاء العليل» (٢/ ١٥٢-١٥٣)، و«الفتاوى»(١٧/ ٥١٧)

(٢)قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» : الاستعاذة هي الالتجاء إلى الله والالتصاق بجنابه من شر كل ذي شر .أ.هـ.

(٣) في المطبوع: «والأمر [ألا له الخلق والأمر]....»

(٤) قال ابن القيم : وقدم الربوبية – يعني في سورة الناس – لعمومها وشمولها لكل مربوب ، وأخَّر الإلهية لخصوصها ؛ لأنه سبحانه إنما هو إله من عبده ووحده واتخذه دون غيره إلهًا .أ.هـ. «البدائع»(٢/ ٢٤٨).

وهاتان السورتان[٢] أعظم عَوذَةٍ[٣] في القرآن، وجاءت الاستعاذة بهما وقت الحاجة إلى ذلك، وهو حين سُحر النبي ﷺ[٤] وخُيِّلَ إليه أنه يفعل الشيء ﷺ وما

---

(١) راجع «البدائع» (٢/ ٢٤٧-٢٤٩).

(٢) سورة «الفلق» و«الناس».

(٣) العُوَذة: الرقية بها الإنسان، وجمعها: عُوذ. انظر «المعجم الوسيط» (ص:٦٣٥).

(٤) يشير إلى حديث زيد بن أرقم، قال: «سَحَرَ النبيَّ ﷺ رجل من اليهود، قال: فاشتكى فأتاه جبريل فنزل عليه بالمعوذتين وقال: إن رجلًا من اليهود سحرك والسحر في بئر فلان، قال: فأرسل عليًّا فجاء به، قال: فأمره أن يحل العقد ويقرأ آية، فجعل يقرأ ويحل حتى قام النبي ﷺ ...إلخ.

رواه عبد بن حميد كما في «المنتخب» رقم (٢٧١) والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (١٥/ رقم:٥٩٣٥) من طريق: أحمد بن عبدالله بن يونس عن أبي معاوية عن الأعمش عن يزيد بن حيان عن زيد بن أرقم به.

ورواه النسائي (٤٠٨٠) عن هناد بن السري، وأحمد (٤/ ٣٦٧) وابن أبي شيبة (٨/ رقم: ٢٣٨٦٥) كلهم عن أبي معاوية به ولم يذكروا نزول المعوذتين وهو في الصحيح المسند رقم (٣٤٢) لشيخنا رحمه الله فراجعه.

فالظاهر أن أحمد بن عبدالله بن يونس قد شذ بها.

قلت: وله شواهد منها حديث عائشة: رواه ابن عيينة في التفسير كما في التلخيص الحبير (٤/ ٧٦) من طريقه عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة وصححه الحافظ.

أقول: هو كذلك صحيح غير أن ذكر نزول المعوذتين فيه شاذ، وذلك أن الحديث رواه أربعة عشر نفسًا عن هشام به - ومنهم ابن عيينة في الصحيح - ولم يذكروا ذلك النزول وراجع إن شئت رسالة شيخنا الوادعي - رحمه الله - «ردود أهل العلم» (ص:٩٠-٩٢) دار الآثار. ونحديث شواهد ضعيفة، انظر التعليق الذي بعد الآتي.

فعله، وأقام على ذلك أربعين يوما كما في «الصحيح»[(١)] .

وكانت عُقَد السحر إحدى عشرة عقدة، فأنزل الله المعوذتين إحدى عشرة آية فانحلت بكل آية عقدة[(٢)]، وتعلقت الاستعاذة في أوائل القرآن باسمه الإله، وهو

---

(١) رواه البخاري (٥٧٦٣)، ومسلم (٢١٨٩).

فائدة : أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث، وزعموا أنه يحط منصب النبوة ويشكك فيها؛ إذ يحتمل على هذا أن يخيل إليه أنه يرى جبريل وليس هو ثمَّ، وأنه يوحى إليه شيء ولم يوح إليه بشيء وهذا مردود؛ لأن الدليل قام على صدق النبي ﷺ فيما يبلغه عن الله تعالى وعلى عصمته في التبليغ، وأما هذا الحديث فمحمول على بعض أمور الدنيا التي لم يبعث لأجلها ولا كانت الرسالة من أجلها.

انظر : كلام الحافظ في «الفتح» ورسالة شيخنا الوادعي - رحمه الله - : «ردود أهل العلم على الطاعنين في حديث السحر».

(٢) يشير إلى حديث عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما - الذي رواه ابن سعد في «الطبقات» (٢/ ١٩٨-١٩٩) وفيه كذلك نزول المعوذتين.

لكنه من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس به .

وجويبر - هو ابن سعيد الأزدي - : ضعيف جدًا، والضحاك هو ابن مزاحم لم يلق ابن عباس.

ورواه البيهقي من طريق أخرى عنه في «الدلائل» (٧/ ٩٤) معلقًا، ووصله في (٦/ ٢٤٨) من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس وهذه سلسلة الكذب ورواه البيهقي أيضًا (٧/ ٩٢-٩٤) عن عائشة وسنده ضعيف جدًا جدًا ففيه محمد بن عبيدالله - وهو ابن أبي سليمان العرزمي - قال الحافظ : متروك .

فالحاصل : أن حديث سحر النبي ﷺ ثابت لكن ذكر عدد العقد ونزول المعوذتين في ذلك لا يثبت بهذه الأسانيد والعلم عند الله.

المعبود وحده لاجتماع صفات الكمال فيه ، ومناجاة العبد لهذا الإله الكامل ذي الأسماء الحسنى والصفات العليا ، المرغوبِ إليه في أن يعيذ عبده الذي يناجيه بكلامه من الشيطان الحائل بينه وبين مناجاة ربه ، ثم استحب التعلُّق[١] باسم الإله في جميع المواطن التي يقال فيها : « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم[٢] » ؛ لأن اسمه[٣] الله تعالى هو الغاية للأسماء .

ولهذا كان كل اسم بعده لا يتعرَّفُ إلا به ، فتقول : الله هو السلام المؤمن المهيمن ، فالجلالة تُعَرِّف غيرها ، وغيرها لا يعرِّفها .

والذين أشركوا به تعالى في الربوبية منهم من أثبت معه خالقاً آخر وإن لم يقولوا إنه إله مكافئ له ، وهم المشركون[٤] ومن ضاهاهم[٥] من القدرية[٦] .

وربوبيته سبحانه للعالم الربوبية الكاملة المطلقة الشاملة تُبطِل أقوالهم ؛ لأنها

---

(١) في المطبوع : «التعليق».

(٢) هذا الاستحباب لا بدله من دليل ، ففي «الصحيحين» أن النبي ﷺ قال لذلك الرجل المغضب : إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجده ، لو قال : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» فليس فيه ذكر البسملة.

(٣) في المطبوع : «اسم » .

(٤) سبق الكلام في هذا.

(٥) ضاهى : شابه.

(٦) القدرية هنا هم المعتزلة الذين يقولون : بأن العبد يخلق فعل نفسه ، وأن الله لا قدرة له على أفعال العباد.

تقتضي ربوبيته لجميع ما فيه من الذوات والصفات والحركات والأفعال .

وحقيقة قول القدرية المجوسية(١) : أنه تعالى ليس ربًّا لأفعال الحيوان ولا تناولها(٢) ربوبيته ، إذ كيف يتناول ما لم(٣) يدخل تحت قدرته ومشيئته وخلقه ؟!

وشرك الأمم كله نوعان : شرك في الإلهية ، وشرك في الربوبية .

فالشرك في الإلهية والعبادة هو : الغالب على أهل الإشراك ، وهو شرك عُبَّادُ الأصنام وعباد الملائكة وعباد الجن وعباد المشايخ الصالحين الأحياء والأموات الذين قالوا ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى الله زُلْفَى﴾(٤) [الزمر: من الآية٣] ،

---

(١) المجوس : هم القائلون بالأصلين : النور والظلمة ، وأن « النور» يخلق الخير ، والظلمة : تخلق الشر . انظر : الملل والنحل» (١/ ٢٣٣) وما بعد.

فائدة : وسبب تشبيه القدرية «المعتزلة» بالمجوس ؛ أن القدرية يضيفون الخير إلى الله ، والشر إلى غيره.

قاله الخطابي في : «معالم السنن»(٧/ ٥٧-٥٨).

(٢) في المطبوع : «تتناولها » بتائين .

(٣) في المطبوع :«لا» بدل :«لم».

(٤) يقول السهسواني في « صيانة الإنسان» (ص:١٧٨) : قال البكري الشافعي في «تفسيره» : فإذا سئلوا – كفار قريش – عن عبادة الأصنام قالوا : ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ ، لأجل طلب شفاعتهم عند الله ، وهذا كفر .أ.هـ.

أقول – السهسواني – : ليشفعوا لهم عند الله في نصرهم ورزقهم وما ينوبهم من أمر الدنيا ، فأما المعاد فكانوا جاحدين له كافرين به .أ.هـ. قاله ابن كثير في « تفسيره» عند الآية السابقة.أ.هـ. كلام

=

ويشفعوا لنا عنده، وينالنا بسبب قربهم من الله وكرامته لهم قُرَبٌ وكرامة. كما هو المعهود في الدنيا من حصول الكرامة والزلفى لمن يخدم أعوان الملك وأقاربه وخاصته.

والكتب الإلهية كلها من أولها إلى آخرها تبطل هذا المذهب وترده وتقبح أهله وتنصُّ على أنهم أعداء الله تعالى، وجميع الرسل صلوات الله عليهم متفقون على ذلك من أولهم إلى آخرهم، وما أهلك الله تعالىٰ مَن أهلك[1] من الأمم إلا بسبب هذا الشرك ومن أجله، وأصله: الشرك في محبة الله.

قال تعالى ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتخِذُ مِن دُونِ الله أندادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ الله وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً للهِ**﴾[2] [البقرة: من الآية١٦٥] فأخبر سبحانه[3] أنه من أحب مع الله شيئا غيره كما يحبه، فقد اتخذه[4] ندًّا من دونه، وهذا على أصح القولين في الآية: أنهم يحبونهم كما يحبون الله[5]، وهذا هو العدل المذكور في قوله

=

السهسواني.

(١) ليس في المطبوع: «من أهلك».

(٢) ليس في المطبوع: «أول الآية إلىٰ ﴿ أندادًا ﴾».

(٣) في المطبوع: «سبحانه وتعالى».

(٤) في المطبوع: «اتخذ» دون الضمير.

(٥) والقول الآخر في تفسير الآية: أن الذين آمنوا أشد حبًا لله من أصحاب الأنداد لأندادهم وآلهتهم التي يحبونها ويعظمونها من دون الله.

تعالى ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾[الأنعام: من الآية١] ، والمعنى على أصح القولين أنهم يعدلون به غيره في العبادة فيسوون بينه وبين غيره في الحب والعبادة(١) ، وكذلك قول المشركين في النار لأصنامهم ﴿تَاللهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ* إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء ٩٧و٩٨].

ومعلوم قطعًا أن هذه التسوية لم تكن بينهم وبين الله في كونه ربهم وخالقهم. فإنهم كانوا كما أخبر الله عنهم مقرين بأن الله تعالى وحده هو ربهم(٢)، وأنه رب السماوات السبع ورب العرش العظيم ، وأنه سبحانه هو الذي بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه(٣) .

=

انظر : «الفتاوى» (٧/ ١٨٧-١٨٨) ، و«المدارج»(٣/ ٢٠).

(١) سبق أن معنى «عدل» يختلف بما يقترن به من أحرف الجر ، فإذا اقترن به الباء كان معناه المساواة كما في الآية ، وهذا هو الصحيح فيها.

وقيل إن الباء في الآية بمعنى «عن» والمعنى : ثم الذين كفروا عن ربهم يعدلون عن عبادته إلى عبادة غيره. فيكون الفعل «عدل» هاهنا بمعنى «مال وحاد».

قال ابن القيم في «المدارج»(٣/ ٢١): وهذا ليس بقوي ، إذ لا تقول العرب: عدلت بكذا ، أي عدلت عنه .أ.هـ.

انظر : «اللباب في علوم الكتاب» (٨/ ١٣) لأبي حفص الحنبلي.

(٢) في المطبوع بعد:«....ربهم »: وخالقهم وأن الأرض ومن فيها لله وحده...

(٣) قال الله تعالى ﴿ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾:

قال القرطبي : أي يمنع ولا يُمنع ، وقيل : « يجير» : يؤمِّن من شاء ، « ولا يجار عليه» : أي لا

وإنما كانت هذه التسوية بينهم وبينه[١] تعالى في المحبة والعبادة ، فمن أحب غير الله تعالى وخافه ورجاه وذل له كما يحب الله تعالى ويخافه ويرجوه ، فهذا هو الشرك الذي لا يغفره الله ، فكيف بمن كان غير الله آثر[٢] عنده منه[٣] ، وأحب إليه وأخوف عنده، وهو في مرضاته أشد سعياً منه في مرضاة الله ، فإذا كان المسوِّي بين الله وبين غيرِه في ذلك مشركاً فما الظن بهذا .

فعياذاً بالله من أن ينسلخ القلب من التوحيد والإسلام كانسلاخ الحية من قشرها[٤] وهو يظن أنه مسلم موحِّد فهذا أحد أنواع الشرك[٥] .

والأدلة الدالة على أنه تعالى يجب أن يكون وحده هو المألوه تبطل[٦] هذا الشرك وتدحض حُجَج أهله ، وهي[٧] أكثر من أن يحيط بها إلا الله ، بل كل ما

يؤِّمن من أخافه .أ.هـ. من « الجامع لأحكام القرآن» (١٢/ ١٤٥).

(١) في المطبوع :«وبين الله » .

(٢) «آثر» : أفعل التفضيل ، من قولك : آثره على نفسه ، من الإيثار.

(٣) ليس في المطبوع :«منه».

(٤) يقال : سلختِ الحية : انكشفت عن جلدها ؛ أي نزعه وكشطه .«المعجم الوسيط»(ص:٤٤٢).

وقال الراغب في «المفردات»(ص:٤١٩) : السلخ : نزع جلد الحيوان .أ.هـ.

(٥) الذي هو الشرك في العبادة والألوهية.

(٦) ليس في المطبوع :«يبطل» بالياء التحتية وكذا :«يدحض» بعدها.

(٧) في المطبوع :«وهو».

خلقه الله تعالى فهو آية شاهدة بتوحيده ، وكذلك كل ما أمر به ، فَخَلْقُهُ وأمره وما فطر عليه عباده وركبه فيهم من العقول[١] شاهدٌ بأن الله هو[٢] الذي لا إله إلا هو ، وأن كل معبود سواه باطل ، وأنه هو الله[٣] الحق المبين تقدس وتعالى.

وواعجبًا كيف يَعصي الإلهَ ... أم كيف يَجحده الجاحدُ

ولله في كل تحريكةٍ ... وتسكينة أبدًا شاهدُ

وفي كل شيء له آيةٌ ... تدل على أنه واحدُ[٤]

والنوع الثاني من الشرك : الشرك به تعالى في الربوبية كشرك من جعل معه خالقا آخر كالمجوس[٥] وغيرهم الذين يقولون بأن للعالم ربَّين ، أحدهما خالق

---

(١) في المطبوع :«القوى».

(٢) ليس في المطبوع :«هو».

(٣) ليس في المطبوع :«الله».

(٤) قال البيهقي في الشعب» (١/ ١٠٥) : حدثنا أبو عبدالله الحافظ ، أخبرني محمد بن يوسف الدقيقي قال: وَجَدتُ في كتابي للشافعي رحمه الله :

فيا عجباً كيف يعصى الإله ....

ثم قال البيهقي : ويقال : إن هذه الأبيات لأبي العتاهة .أ.هـ. ثم ذكر الخبر مسندًا.

قلت : ونسبها لإبي العتاهية في « الأغاني» (٣/ ١٤٣) ، وفي «الوفيات» (٧/ ١٣٨) نسبها لإبي نواس ، ونسبها ابن كثير في «تفسيره» (البقرة : آية :٢١) لابن المعتز.

(٥) سبق التعريف بهم.

الخير[١]، والآخر: خالق الشر[٢].

وكالفلاسفة ومن تبعهم الذين يقولون بأنه لم يصدر عنه إلا واحد بسيط[٣] وأن مصدر المخلوقات كلها عن العقول والنفوس. وأن مصدر هذا العالم عن العقل الفعال[٤]، فهو رب كل ما تحته ومدبره. وهذا شر[٥] من عباد الأصنام والمجوس والنصارى وهو أخبث شرك في العالم، إذ يتضمن من التعطيل وجحد إلاهيته سبحانه وربوبيته[٦]، وإسناد[١] الخلق إلى غيره مالم يتضمنه شرك أمة من

---

(١) في المطبوع: «ويقولون له بلسان الفارسية «يزدان»»، ويزدان: يريدون به: «النور» قاله التهاوني في «كشاف اصطلاحات الفنون» (١/ ٢٤٣)، وانظر: «الخطط» (٤/ ١٦٢) للمقريزي..

(٢) في المطبوع: «ويقول له المجوس بلسانهم «أهرمن»» وأهرمن: يريدون به: «الظلمة» المرجع السابق، قال التهانوي: فهم عبدوا الله سبحانه من حيث نفسه تعالى، لأنه سبحانه جمع الأضداد بنفسه فشمل المراتب الحقيَّة والخُلقية، وظهر في الوصفين بالحكمين، وفي الدارين بالنعتين فما كان منه منسوبًا إلى الحقيقة الإلهية فهو الظاهر في الأنوار، وما كان منسوبًا إلى الحقيقة الخلقية فهو عبارة عن الظلمة، فعبدت النور لهذا السر الإلهي الجامع للوصفين والضدين. أ.هـ.

(٣) وهذا يبطله قوله تعالى ﴿ومن كل شيء خلقنا زوجين اثنين لعلكم تذكرون﴾.

قال الشوكاني: أي خلقنا ذلك هكذا للتذكروا فتعرفوا أنه خالق كل شيء وتستدلوا بذلك على توحيده ووعده ووعيده أ.هـ. من «فتح القدير» (٥/ ٩١-٩٢).

(٤) قيل: العقل الفعال هو فلك القمر، وقيل: قوى النفس، وقيل غير ذلك. انظر «بغية المرتاد» (ص:٩٨-٩٩) و «الفتاوى» (١٢/ ٥٥٦).

(٥) في المطبوع: «أشر».

(٦) في المطبوع: «الإلهية والربوبية».

الأمم[٢].

وشرك القدرية مختصر من هذا، وباب يدخل منه إليه. ولهذا شبههم الصحابة رضي الله عنهم بالمجوس[٣]، كما ثبت عن ابن عمر[٤] وابن عباس[٥] رضي الله عنهم.

=

(١) في المطبوع :«واستناد».

(٢) وهذا الكفر أيضًا لم يصل إليه أحد من كفار أهل الكتاب ومشركي العرب، قاله شيخ الإسلام في «الفتاوى» (٩/ ١٠٤).

(٣) سبق بيان وجه المشابهة.

(٤) «ضعيف» رواه اللاكائي رقم (١١٦٠) من طريق إسحاق بن رافع عن نافع عن ابن عمر: مجوس هذه الأمة القدرية».

قلت: إسحاق بن رافع إن كان هو أخا إسماعيل بن رافع، فهو ضعيف كما في « الجرح» (٢/ ٢١٩) لابن أبي حاتم وإلا فلا أعلم من هو، ثم إن عددًا من الرواة قد رووه عن نافع به مرفوعًا ولا يصح أيضًا، كما بينه في تعليقنا على «شرح الطحاوية» (ص: ٣٨٣-٣٨٤).

ثم رواه اللالكائي (١١٦١) من طريق أبي حازم عن ابن عمر به معلقًا.

وأبو حازم – سلمة بن دينار – لم يسمع من ابن عمر، وقد روي من هذه الطريق مرفوعًا ولا يصح كما في المصدر السابق.

قال المنذري في « مختصر سنن أبي داود» (٧/ ٥٨)، وقد روى هذا الحديث من طرق عن ابن عمر ليس فيها شيء يثبت.أ.هـ.

(٥) لم أظفر عليه وقد ذكر المعلمي في تعليقه على «الفوائد المجموعة»(ص:٥٠٣) جملة ممن روى عنهم هذا الخبر ولم يذكر عن ابن عباس. والله أعلم.

وقد روى أهل السنن فيهم ذلك مرفوعًا أنهم: «مجوس هذه الأمة»[١]، وكثيرًا ما يجتمع الشركان في العبد وينفرد أحدهما عن الآخر، والقرآن الكريم، بل الكتب المنزلة من عند الله تعالى كلها مصرحة بالرد على أهل هذا الإشراك، كقوله تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾؛ فإنه ينفي شرك المحبة والإلهية، وقوله ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فإنه ينفي شرك الخلق والربوبية.

فتضمنت هذه الآية تجريد التوحيد لرب العالمين في العبادة، وأنه لا يجوز إشراك غيره معه، لا[٢] في الأفعال ولا في الألفاظ ولا في الإرادات[٣]، فالشرك به في الأفعال كالسجود لغيره سبحانه[٤]، والطواف بغير البيت[٥] المحرم[٦]،

---

(١) «ضعيف» وقد ذكرت بعض طرقه في تعليقنا على «شرح الطحاوية» (ص:٣٨٢-٣٨٦) وقد حكم عليه جماعة بالضعف منهم النسائي وابن القيم وابن الجوزي وابن أبي العز.

(٢) ليس في المطبوع: «لا».

(٣) انظر هذا وما بعده في «الجواب الكافي» (ص:١٦٩-١٧٤) لابن القيم.

(٤) وبعضهم يسمي السجود أنه وضع الرأس قدام الشيخ احترامًا وتواضعًا، فيقال لهؤلاء: ولو سميتموه ما سميتموه؛ فإن ما ذكرتم هو حقيقة السجود.

انظر: «المدارج» (١/ ٣٤٤-٣٤٥).

(٥) في المطبوع: «بيته».

(٦) الطواف بغير البيت المحرم، إن اعتقد صاحبه أن المطوف عليه فيه القدرة والتأثير على دفع الضر أو جلب النفع فهذا شرك أكبر، وإن كان يرجو بفعله ذلك البركة وأنه سبب للاستجابة من الله فهذه بدعة وهي من وسائل الشرك.

وحلق الرأس عبودية وخضوعاً لغيره[١]، وتقبيل الأحجار غير الحجر الأسود الذي هو يمينه تعالى في الأرض[٢]، وتقبيل القبور واستلامها والسجود لها[٣] [١].

=

انظر «فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم» (١/ ١٢٢)، و«فتاوى اللجنة الدائمة»(١/ ٥٤)، و«فتاوى أركان الإسلام» (ص: ١٦٨) لابن عثيمين.

(١) قال ابن القيم في «المدارج»(١/ ٣٤٥) : ومن أنواعه – أي الشرك – حلق الرأس للشيخ فإنه تعبد لغير الله، ولا يتعبَّد بحلق الرأس إلا في النسك خاصة .أ.هـ.

وقال في «الزاد»: وهو بمنزلة السجود لغير الله وتوسع – رحمه الله هناك بذكر هذه المسألة(٤/ ١٥٩–١٦٠).

(٢) يشير إلى حديث «الحجر الأسود يمين الله في الأرض يصافح بها عباده».

رواه ابن عدي في «الكامل»(١/ ٣٣٦)، والخطيب في «التاريخ» (٦/ ٣٢٨) من طريق إسحاق بن بشر الكاهلي، وحدثنا أبو معشر المدائني عن محمد بن المنكدر عن جابر به مرفوعًا.

قلت : الكاهلي هذا : كذاب، وكان يضع الحديث، وقد توبع عند ابن عساكر (٥٢/ ٢١٧) غير أن في سنده : أبا علي الأهوازي : الحسن بن علي بن إبراهيم، كذبه الخطيب وغيره انظر «اللسان» (٢/ ٢٧٧–٢٧٨).

ورواه ابن قتيبة في «غريبه»(٢/ ٣٣٧) عن ابن عباس موقوفًا .

وفي السند إبراهيم بن يزيد وهو الخوزي أبو إسماعيل، قال الحافظ : متروك الحديث .أ.هـ.

(٣) قال شيخ الإسلام : وقد اتفق العلماء على ما مضت به السنة من أنه لا يشرع الاستلام والتقبيل لمقام إبراهيم...، فإذا كان هذا بالسنة المتواترة واتفاق الأئمة لا يشرع تقبيلها بالفم ولا مسحه باليد فغيره من مقامات الأنبياء أولى ألا يشرع تقبيلها...أ.هـ.من «الاقتضاء» (٢/ ٧٩٩–٨٠٠).

وقد لعن النبي ﷺ من اتخذ قبور الأنبياء[٢] مساجد يصلِّي لله[٣] فيها ، فكيف من اتخذ القبور أوثانًا تعبد من دون الله تعالى ، فهذا لم يعلم [٤]قول الله تعالى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾.

وفي «الصحيح» عنه ﷺ أنه قال « **لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**[٥] [٦]» وفيه عنه أيضًا « **إن من شرار الناس من تدركهم الساعة**

=

أقول : ومن باب أولى ما هو دون هذه المقامات من المشاهد والقبور والأطرحة التي اشتدَّ إقبال الناس عليها بما هو أفضع من التقبيل والاستلام ، نسأل الله العافية.

(١) في المخطوط : خرج أبو نعيم في « الحلية» من حديث الفضيل بن عياض ، قال : سمعت عبدالملك بن جريج يقول : حدثني عطاء عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا توضع النواصي إلا بالله في حج أو عمرة فما سوى ذلك فمُثلة».

قال أبو نعيم : غريب من حديث الفضيل لم نكتبه إلا من هذا الوجه.

(٢) في المطبوع :«الأنبياء والصالحين».

(٣) ليس في المطبوع :«لله».

(٤) في المطبوع :«لم يعلم معنى».

(٥) في المطبوع :«يحذر ما صنعوا».

(٦) رواه البخاري (٤٣٥) ، مسلم (٥٣١) عن عائشة رضي الله عنه.

تنبيه : قوله : «يحذر ما صنعوا»: قال الحافظ : جملة أخرى مستأنفة من كلام الراوي . كأنه سئل عن حكمة ذكر ذلك في ذلك الوقت فأجيب بذلك .أ.هـ.

وهم أحياء ، والذين يتخذون القبور مساجد[١] » ، وفيه أيضا عنه ﷺ : « **إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك**[٢] » .

وفي «مسند الإمام أحمد» ، و«صحيح ابن حبان» عنه ﷺ : « **لعن الله زوارات القبور ، والمتخذين عليها المساجد والسُّرُج**[٣] » ،وقال ﷺ :« **و اشتد غضب الله**

---

(١) رواه أحمد (١/ ٤٠٥) ، وابن أبي شيبة (٤/ رقم ١١٩٢٧) ، وأبو يعلى (٩/ رقم ٥٣١٦) وغيرهم عن ابن مسعود رضي الله عنه وسنده حسن ، وهو في «الصحيح المسند» لشيخنا الوادعي – رحمه الله –.

والحديث ليس في الصحيح كما وهم فيه المؤلف بقوله:«وفيه» وهو في الأصل من كلام ابن القيم في «الجواب الكافي » (ص:١٦٩) وإنما أخرج الشطر الأول منه البخاري (٧٠٦٧) معلقًا.

وأخرج مسلم(٢٩٤٩) : « لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس».

(٢) قطعة من حديث جندب بن عبدالله – رضي الله عنه – رواه مسلم (٥٣٢).

(٣) رواه الترمذي (٣٢٠) ، وأبو داود (٣٢٣٦) ، النسائي (٢٠٤٣) ، وابن ماجة (١٥٧٥)، وأحمد (١/ ٢٢٩) ، وابن حبان كما في «الإحسان» (٥/ رقم : ٣١٦٩) وغيرهم عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

وفي سنده أبو صالح، وهو باذان مولى أم هانئ ، رُمي بالكذب كما في ميزان الإعتدال».

وقوله : « لعن الله ....المساجد» لها شواهد يحسن بها كما قد بينته في تعليقنا على «فتح المجيد» .

وأما قوله: «السُّرج» فإنها زيادة منكرة ومع نكارتها ففعله محرم لأمور قد بينتها في المصدر السابق . والحمد لله.

تنبيه : ليس عند ابن ماجه : « والسرج».

على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد[١]، وقال ﷺ: « إن من كان قبلكم كانوا إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً، وصوروا فيه تلك الصور[٢] أولئك شرار الخلق عند الله »[٣].

والناس في هذا الباب - أعني زيارة القبور - على ثلاثة أقسام:

- قوم يزورون الموتى فيدعون لهم. وهذه هي الزيارة الشرعية[٤].

---

(١) أخرجه مالك في «الموطأ» (١/ ٢٢٣)، ومن طريقه ابن سعد في «الطبقات» (٢/ ٢٤٠-٢٤١) من طريق زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار أن رسول الله ﷺ قال: « اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد، اشتدَّا غضب الله ....إلخ.

هكذا مرسل، لكن له شواهد يرتقي بها إلى الحسن كما بينته في تعليقنا على «فتح المجيد» والحمد لله.

فائدة: اتخاذ القبور مساجد له ثلاثة أحوال:

الصلاة إليها والسجود عليها، وبناء المساجد والقباب عليها.

انظر: «تحذير الساجد» (ص:٢٩)، و«مرعاة المفاتيح» (٢/ ٤١٩)، و«تيسير العزيز الحميد» (ص:٣٢٧).

(٢) في المخطوط: «الصورة».

(٣) رواه البخاري (٤٣٤، ومسلم (٥٢٨) عن عائشة رضي الله عنها.

(٤) وهذه الزيارة الشرعية لها ثلاثة مقاصد:

١- تذكر الآخرة والاتعاظ.

٢- الإحسان إلى الميت بالدعاء له وتعاهده.

٣- إحسان الزائر إلى نفسه باتباعه للسنة.

- وقوم يزورونهم يدعون بهم، وهؤلاء[١] هم المشركون[٢]، وجهلة العوام والطَّغَام من غلاتهم[٣].

- وقوم يزورونهم فيدعونهم أنفسهم[٤]، وقد قال النبي ﷺ «اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد[٥]»[٦]، وقد حمى النبي ﷺ جانب التوحيد أعظم حماية تحقيقًا

هذا إذا كان المزور مسلمًا، أما إذا كان كافرًا قريبًا للزائر فيكون له المقصد الأول فقط.

انظر: «إغاثة اللهفان» (١/ ٢٤٦)، و«أحكام الجنائز» (ص: ١٨٧-١٨٨).

(١) في المطبوع: «فهؤلاء».

(٢) ظاهر كلام المؤلف: أن هذا القسم شرك أكبر، وقد نقل ابن القيم عن شيخه ابن تيمية أن هذا الفعل بدعة باتفاق المسلمين.

راجع «الإغاثة» (١/ ٢٤٦).

(٣) قوله: «وجهلة ....غلاتهم» ليس في المطبوع، وفيه «في الألوهية والمحبة».

(٤) سوء ظن هذا الداعي أن أصحاب القبور يستجيبون لهم في الدفع والجلب، أو ظنهم أنهم وسائط بينهم وبين ربِّهم، حيث يسألونهم وهم يسألون الله، فهذا كله - والعياذ بالله - شرك مخرج صاحبه من الإسلام.

انظر: «صيانة الإنسان»(ص:١٨٩-١٩٠) و(ص:٢١٠) و(ص:٢١٢) و«الإغاثة» (١/ ٢٤٥).

تتمة: بقي قسم رابع: وهو أن يسأل الله ويدعوه عند قبور الصالحين معتقدًا أن الدعاء عنده مستجاب وهذا من البدع والمحرمات باتفاق المسلمين.

قاله ابن القيم في «الإغاثة» (١/ ٢٤٦)، و«القول المفيد» (١/ ٤٢٧) لابن عثيمين رحمه الله.

(٥) سبق أنه حسن.

(٦) في المطبوع بعد الحديث: «وهؤلاء هم المشركون في الربوبية».

لقوله تعالىٰ: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُد ﴾ حتى نهى عن الصلاة في هذين الوقتين[١] لكونه ذريعة إلى التشبه بعبّاد الشمس الذين يسجدون لها في هاتين الحالتين ، وسد ﷺ الذريعة بأن مَنَعَ الصلاة من بعد العصر والصبح لاتصال هذين الوقتين بالوقتين الذين[٢] يسجد المشركون فيهما للشمس[٣].

وأما السجود لغير الله فقال[٤] عليه الصلاة والسلام :« لا ينبغي لأحد أن يسجد لأحد إلا الله»[٥]، ولا «ينبغي» في كلام الله ورسوله إنما يستعمل[١] للذي

---

(١) عبارة ابن القيم التي نقلها عنه المؤلف هي : حتى نهى عن صلاة التطوع لله سبحانه عند طلوع الشمس وعند غروبها لئلا يكون ذريعة إلى التشبه بعبَّاد الشمس ....إلخ.

(٢) في المطبوع :«هذين الوقتين اللذين يسجد....».

انظر : «الجواب الكافي» (ص:١٧١).

(٣) روى مسلم (٨٣٢) أن النبي ﷺ قال لعمرو بن عبسة – رضي الله عنه – قَالَ :« صَلِّ صَلَاةَ الصُّبْحِ ثُمَّ أَقْصِرْ عَنْ الصَّلَاةِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ حَتَّى تَرْتَفِعَ فَإِنَّهَا تَطْلُعُ حِينَ تَطْلُعُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ وَحِينَئِذٍ يَسْجُدُ لَهَا الْكُفَّارُ ثُمَّ صَلِّ فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ مَحْضُورَةٌ حَتَّى يَسْتَقِلَّ الظِّلُّ بِالرُّمْحِ ثُمَّ أَقْصِرْ عَنْ الصَّلَاةِ فَإِنَّ حِينَئِذٍ تُسْجَرُ جَهَنَّمُ فَإِذَا أَقْبَلَ الْفَيْءُ فَصَلِّ فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ مَحْضُورَةٌ حَتَّى تُصَلِّيَ الْعَصْرَ ثُمَّ أَقْصِرْ عَنْ الصَّلَاةِ حَتَّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ فَإِنَّهَا تَغْرُبُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ وَحِينَئِذٍ يَسْجُدُ لَهَا الْكُفَّارُ »

(٤) في المطبوع :«فقد قال».

(٥) يشير إلى حديث الحسن البصري أن رجلًا قال يا رسول الله يسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض أفلا نسجد لك ، قال :« لا ، ولكن أكرموا نبيكم » ، أو قال :« أكرموا أخاكم فاعرفوا الحق لأهله فإنه لا ينبغي لأحد أن يسجد لأحد من دون الله » قال : فأنزل الله تعالى ﴿ ما كان لبشر

هو في غاية الامتناع[٢] كقوله تعالى ﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً﴾ [مريم:٩٢] ، وقوله تعالى ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾[يّس: من الآية٦٩]، وقوله تعالى :﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ،وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ﴾[الشعراء: من الآية٢١٠و٢١١] ، وقوله تعالى :﴿مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾[الفرقان: من الآية١٨].

ومن الشرك بالله تعالى المباين لقوله تعالى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُد ﴾الشرك به في اللفظ كالحلف بغيره[٣] ، كما رواه الإمام أحمد وأبو داود عنه ﷺ أنه قال :« من حلف

=

أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ....﴾ الآية.

رواه عبد بن حميد في « تفسيره» (ص:٣٥) [ضمن قطعة من تفسيره] وعبدالرزاق في «تفسيره» كما في «لباب النقول» (١٦٨) للسيوطي .

وقال الحافظ : لم أجد له إسنادًا ونقله الواحدي في «الأسباب» عن الحسن البصري .أ.هـ. من تعليقه على « الكشاف» (١/ ٣٧٨) .

قلت: سنده صحيح إلى الحسن ، فهو مرسل كما تراه.

(١) في المطبوع :«تستعمل» بالتاء.

(٢) قال ابن القيم في «البدائع» (٤/ ٣) : وقوله :«لا ينبغي» فإنها في لغة القرآن والرسول للمنع عقلًا وشرعًا .أ.هـ.

(٣) الحلف بغير الله إن كان فيه تعظيم المحلوف به فهذا شرك أكبر ، وأما إذا كان خاليًا من التعظيم فهو الشرك الأصغر.

بغير فقد أشرك »[١] صححه الحاكم وابن حبان .

قال ابن حبان[٢] أخبرنا الحسن بن سفيان[٣] ثنا عبد الله بن عمر الجعفي ثنا عبد الرحيم[٤] بن سليمان عن الحسن بن عبيد الله[٥] النخعي عن سعد بن عبيدة قال : كنت عند ابن عمر فحلف رجل بالكعبة فقال ابن عمر: وحيك ! لا تفعل ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من حلف بغير الله تعالىٰ فقد أشرك ».

ومن الإشراك : قول القائل لأحد من الناس : ما شاء الله وشئت[٦] ، كما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال له رجل : ما شاء الله وشئت ، فقال :« **أجعلتني لله ندًا ؟ قل**

---

(١) رواه أبو داود (٣٢٥١) ، والترمذي (١٥٣٥) ، وأحمد(٢/ ٣٤) وغيرهم من طريق سعد بن عبيدة عن ابن عمر به مرفوعًا.

ولا يصح لانقطاعه بين سعد وابن عمر.

راجع «مشكل الآثار» (٢/ ٢٩٩-٣٠٠) ، والبيهقي في «الكبرى»(١٠/ ٢٩) و«أحاديث معلة» رقم (٢٦٨) لشيخنا - رحمه الله - .

(٢) في «صحيحه» . انظر «الإحسان» (٦/ رقم ٤٣٤٣).

(٣) في المخطوط : «الحسن وسفيان» وما أثبتناه هو الصواب.

(٤) في المخطوط :«عبدالرحمن» والصواب ما أثبتناه.

(٥) في المخطوط :«عبدالله» والصواب ما أثبتناه.

(٦) إن اعتقد أن المعطوف مساوٍ لله فهو الشرك الأكبر ، وإن اعتقد أنه دونه فهو شرك لفظي وهو الشرك الأصغر.

ما شاء الله وحده»[١]، هذا مع أن الله سبحانه قد أثبت للعبد مشيئة كقوله تعالى ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ [التكوير:٢٨]، فكيف بمن يقول : أنا متوكل على الله وعليك ، وأنا في حَسَبِ الله وحَسَبِكَ ، ومالي إلا الله وأنت ، وهذا من الله ومنك ، وهذا من بركات الله وبركاتك ، والله لي في السماء وأنت لي في الأرض ، فوازن[٢] بين هذه الألفاظ الصادرة من غالب الناس اليوم وبين ما نهى عنه من : شاءَ[٣] الله وشئت ، ثم انظر أيها أفحش ، يتبين لك أن قائلها أولى بالبعد من ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ وبالجواب من النبي ﷺ لقائل تلك الكلمة وأنه إذا كان قد جعل رسول الله ﷺ نداً فهذا قد جعل من لا يدانيه لله نداً .

وبالجملة ، فالعبادة المذكورة في قوله : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ هي السجود ، والتوكل والإنابة ، والتقوى ، والخشية ، والتوبة ، والنذور[٤] ، والحلف ، والتسبيح ، والتكبير ، والتهليل ، والتحميد ، والاستغفار ، وحلق الرأس خضوعاً وتعبداً

---

(١) رواه النسائي في «الكبرى» (٦/ رقم ١٠٨٢٥) ، وابن ماجه (٢١١٧) ، والبخاري في «الأدب» رقم (٧٨٣) وغيرهم من طريق الأجلح عن يزيد بن الأصم عن ابن عباس.

والأجلح هو يحيى بن عبدالله بن حجيّه ، مختلف فيه ، وقد ضعفه جماعة ، لكن له شواهد يرتقي بها إلى الحسن كما ذكرت ذلك في تعليقنا على «فتح المجيد».

وقد روي من حديث جابر ين عبدالله بسند منكر . انظر المصر السابق.

(٢) في المطبوع :«وزن».

(٣) في المطبوع :«من ما شاء....».

(٤) في المطبوع :«والنذر» بالافراد.

والدعاء .. كل ذلك محض حق الله تعالى .

وفي «مسند الإمام أحمد» أن رجلاً أُتي به إلى النبي ﷺ قد أذنب ذنباً ، فلما وقف بين يديه قال : اللهم إني أتوب إليك ولا أتوب إلى محمد ، فقال ﷺ : «**عرف الحق لأهله**[1] » . وخرَّجه[2] الحاكم من حديث الحسن عن الأسود بن سريع قال[3] حديث صحيح .

وأما الشرك في الإرادات ، والنيات ، فذلك البحر الذي لا ساحل له ، وقلّ من ينجو منه ، فمن نوى بعمله غير وجه الله تعالى فلم يقم بحقيقة قوله : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ ؛ فإن ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ هي الحنيفية[4] ملة إبراهيم التي أمر الله بها عباده كلهم ، ولا يقبل من أحد غيرها ، وهي حقيقة الإسلام ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً

---

(١) رواه أحمد (٥/ ٤٣٥) والطبراني (١/ رقم ٨٣٩-٨٤٠) والحاكم (٤/ ٢٥٥) من طريق الحسن عن الأسود بن سريع رضي الله عنه .

وفي السند محمد بن مصعب ، قال الذهبي في التلخيص : ضعيف.

وقال شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «التعقبات على المستدرك» (٤/ ٣٨٧) : والحسن لم يسمع من الأسود بن سريع .أ.هـ. وانظر :«تحفة التحصيل» (ص:٧١).

(٢) في المطبوع :«وأخرجه».

(٣) في المطبوع :«وقال».

(٤) قال ابن القيم : الحِنْف هو الإقبال ، والحنيف : المفرد لمعبوده لا يريد غيره .أ.هـ.

انظر : «جلاء الأفهام»(ص:١٥٥) ، و«مفتاح دار السعادة»(١/ ٥٢٤).

فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[آل عمران:٨٥] ، فاستمسك بهذا الأصل ورد ما أخرجه المبتدعة والمشركون إليه ؛ تحقق[١] معنى الكلمة الإلهية .

فإن قيل : المشرك إنما قصد تعظيم جناب الله تعالى ، وأنه لعظمته لا ينبغي الدخول عليه إلا بالوسائط والشفعاء كحال الملوك ، فالمشرك لم يقصد الاستهانة بجناب الربوبية ، وإنما قصد تعظيمه ، وقال ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ ، وإنما أعبد هذه الوسائط لتقربني إليه وَتَدخُلَ بي عليه ، فهو الغاية ، وهذه وسائل[٢] ، فَلِمَ كان هذا القدر موجباً لسخط الله تعالى وغضبه ، ومخلداً في النار وموجباً لسفك دماء أصحابه واستباحة حريمهم وأموالهم ؟ وهل يجوز في العقل أن يشرع الله تعالى لعباده التقرب إليه بالشفعاء والوسائط فيكون تحريم هذا إنما استفيد بالشرع فقط

---

(١) في المطبوع :«تتحقق».

(٢) المشركون العرب كانوا يعتقدون بعبادتهم الأصنام ، عبادة الله تعالى والتقرب إليه ، غير أنهم اختلفوا في كيفية هذه العبادة، فمنهم من قال : ليس لنا أهلية عبادة الله تعالى بلا واسطة لعظمته ، فعبدناها لتقربنا إليه زلفى.

ومنهم من قال : الملائكة ذوو جاه ومنزلة عند الله ، فاتخذنا لنا أصنامًا على هيئة الملائكة لتقربنا إلى الله زلفى.

ومنهم من قال : جعلنا الأصنام لنا قبلة في العبادة ، كما أن الكعبة قبلة في عبادته.

ومنهم من اعتقد أن لكل صنم شيطانًا موكلًا بأمر الله ؛ فمن عبد الصنم حق عبادته قضى الشيطان حوائجه بأمر الله وإلا أصابه شيطانه بنكبه بإذن الله . ذكر هذا البكري الشافعي في «تفسيره».

انظر : «صيانه الإنسان»(ص:١٧٩) ، «الدرر السنية»(١٠/ ٢٩١) و(١٢/ ٦٠).

أم ذلك قبيح في الشرع[١]، والعقل يمنع أن تأتيَ به شريعة من الشرائع ؟ وما السر في كونه لا يُغفَرُ من بين سائر الذنوب، كما قال تعالى ﴿إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾[النساء: من الآية٤٨].

قلنا[٢]: الشرك شركان: شرك يتعلق بذات المعبود وأسمائه، وصفاته، وأفعاله وشرك في عبادته ومعاملته، وإن كان صاحبه يعتقد أنه سبحانه لا شريك له في ذاته ولا في صفاته.

فأما[٣] الشرك الثاني فهو الذي فرغنا من الكلام فيه وأشرنا إليه الآن، وسنشبع الكلام فيه إن شاء الله تعالى.

وأما[٤] الشرك الأول فهو نوعان:

أحدهما: شرك التعطيل[٥]؛ وهو أقبح أنواع الشرك، كشرك فرعون في

---

(١) في «الجواب الكافي»(ص:١٦٤) في «الفطر والعقول».

(٢) انظر: «الجواب الكافي» (ص:١٦٥).

(٣) في المطبوع :«وأما».

(٤) في المطبوع :«أما».

(٥) التعطيل في اللغة: التفريغ، وعطَّل الدار أخلاها، وكل ما ترك ضياعًا: مُعَطَّل ومُعْطَل و﴿بئر معطلة﴾: لا يُستقى منها ولا ينتفع بمائها.أ.هـ.

انظر: «اللسان»(٩/ ٢٧١).

قلت: والمراد به هٰهنا النفي والجحود، قال الراغب في «المفردات» (ص:٥٧٢): ويقال لمن يجعـ

قوله﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾[(١)] [الشعراء: من الآية٢٣]، وقال لهامان : ﴿ ابْنِ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَطلع إِلَىٰ إله موسى وإني لأظنه من الكاذبين﴾[(٢)].

والشرك والتعطيل متلازمان ، فكل مشرك معطلٌ ، وكل معطل مشركٌ ، لكن الشرك لا يستلزم أصل التعطيل[(٣)]، بل قد يكون المشرك مقراً بالخالق سبحانه وصفاته ، ولكنه معطِّل[(٤)] حق التوحيد[(٥)] .

وأصل الشرك ، وقاعدته التي يرجع إليها هو: التعطيل ، وهو ثلاثة أقسام :

أحدها : تعطيل المصنوع عن صانعه[(٦)] .

الثاني : تعطيل الصانع عن كماله الثابت له[(١)] .

=

العالم بزعمه فارغا عن صانع أتقنه وزينه ; معطِل .أ.هـ.

(١) قال ابن كثير في «تفسيره» : والصحيح الذي عليه السلف وأئمة الخلف أن فرعون كان بقوله هذا منكرًا جاحدًا ، ومن زعم من أهل المنطق وغيرهم أن هذا سؤال عن الماهية فقط ، فقد غلط ، فإنه لم يكن مقرًا بالصانع حتى يسأل عن الماهية ، بل كان جاحدًا له بالكلية .أ.هـ

وانظر : «الفتاوى» (١٦/ ٣٣٤).

(٢) في المطبوع :«وقال : يا هامان ....كاذبًا».

(٣) أي إنكار وجود الصانع والخالق.

(٤) في المطبوع :«معطِّلُه».

(٥) في المطبوع :«التوحد».

(٦) كتعطيل فرعون وسائر الملاحدة والفلاسفة المنكرة لوجود الرب عز وجل.

الثالث : تعطيل معاملته عما يجب على العبد من حقيقة التوحيد .[٢]

ومن هذا[٣] : شرك أهل الوحدة.[٤]

ومنه : شرك الملاحدة القائلين بِقِدَم العالم وأبديته ، وأن الحوادث بأسرها مستندة إلى أسباب ووسائط اقتضت إيجادها ، ويسمونها العقول والنفوس[٥].

ومنه[٦]: شرك معطلة الأسماء والصفات كالجهمية والقرامطة وغلاة المعتزلة.

النوع الثاني : شرك التمثيل ، وهو شرك من جعل معه تعالى إلهاً آخر ،

---

(١) وهذا القسم من التعطيل نوعان:
١- معطلة محضة: كالجهمية والفلاسفة والباطنية المنكرين لأسماء الله وصفاته وأفعاله.
٢- معطلة غير محضة: كالأشاعرة والكلابية والماتريدية وغيرهم ممن يثبت بعض الكمال وينفي البعض الآخر.

(٢) كسائر المشركين ؛ مشركي العرب وغيرهم الذين لم يوحدوا الله بعبادته ، وصرف العبادة أو بعضها لغير الله من صنم أو وثن أو قبر .

(٣) القسم الأول.

(٤) في «الجواب الكافي»(ص:١٦٥) : أهل وحدة الوجود الذين يقولون : ما ثم خالق ومخلوق ، ولا هٰهنا شيئان بل الحق المنزه هو عين الخلق المشبه .أ.هـ.

(٥) قد سبق الكلام عن هذا.

(٦) أي : القسم الثاني.

كالنصارى في المسيح واليهود في عزير ، والمجوس القائلين بإسناد حوادث الخير إلى النور وحوادث الشر إلى الظلمة[١] .

وشرك القدرية المجوسية مختصر منه[٢] ، وهؤلاء أكثر مشركي العالم ، وهم طوائف جَمَّة منهم من يعبد أجزاء سماوية ، ومنهم من يعبد أجزاء أرضية ، ومن هؤلاء من يزعم أن معبوده أكبر الآلهة ، ومنهم من يزعم أنه من جملة الآلهة[٣]ومنهم من يزعم إذا خصه بعبادته ، والتبتل[٤] إليه أقبل عليه[٥] واعتنى به ، ومنهم من يزعم أن معبوده الأدنى يقربه إلى الأعلى الفوقاني ، والفوقاني يقربه إلى من هو فوقه حتى تقربه تلك الآلهة إلى الله سبحانه وتعالى ، فتارة تكثر الوسائط وتارة تقل .

فإذا[٦] عرفت هذه الطوائف وعرفت اشتداد نكير الرسول ﷺ على من أشرك به تعالى في الأفعال والأقوال والإرادات كما تقدم ذكره ، انفتح لك باب

---

(١) سبق الكلام عنه.

(٢) سبق بيانه.

(٣) في المطبوع :«أن إلهه من جملة...».

(٤) التبتل : هوالتفرغ للعبادة والانقطاع لها . أنظر : «المصباح المنير»(ص:١٤) .

(٥) في المطبوع :«إليه».

(٦) انظر «الجواب الكافي» (ص:١٧٤).

الجواب عن السؤال[١] .

فنقول : اعلم أن حقيقة الشرك تشبيه الخالق بالمخلوق[٢] ، وتشبيه المخلوق بالخالق[٣] .

أما الأول[٤] ؛ فإن المشرك شبه المخلوق بالخالق في خصائص الإلهية ، وهي: التفرد بملك الضر ، والنفع ،والعطاء ،والمنع ، فمن علَّقَ ذلك بمخلوق ؛ فقد شبهه بالخالق تعالىٰ و سَوَّى بين التراب وربِّ الأرباب ، فأي فجور وذنب أعظم من هذا ؟!.

واعلم أن من خصائص الإلهية الكمال المطلق من جميع الوجوه الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه ، وذلك يوجب أن تكون العبادة له وحده عقلًا وشرعاً وفطرة ، فمن جعل ذلك لغيره ، فقد شبه الغير بمن لا شبيه له ، ولشدة قبحه وتضمنه غاية الظلم ، أخبر من كتب على نفسه الرحمة أنه لا يغفره أبداً ، ومن خصائص الإلهية ، العبودية التي لا تقوم إلا على ساق الحب والذل ، فمن أعطاهما

---

(١) تقدم ذكر السؤال (ص:"   ).

(٢) كفعل اليهود ، حيث قالوا بأن الله يتعب ويحزن وأنه فقير ....، ومعلوم بأن هذه الصفات من خصائص المخلوقات.

(٣) كفعل النصارى ، الذين ألهوا عيسى بن مريم ، فأعطوه من الخصائص الإلهية.

(٤) في المطبوع :«الخالق».

لغيره ، فقد شبَّه[١] بالله سبحانه وتعالى في خالص حقه ، وقُبحُ هذا مستقر في العقول والفطر ، ولكن[٢] لما غيرت الشياطين فطر أكثر الخلق واجتالتهم[٣] عن دينهم وأمرتهم أن يشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً – كما رَوى ذلك عن الله أعرف الخلق به وبخلقه[٤] – عَمُوا عن قبح الشرك حتى ظنوه حسناً .

ومن خصائص الألوهية [٥]: السجود ، فمن سجد لغيره فقد شبهه به .

ومنها : التوكل ، فمن توكل على غيره فقد شبهه به .

ومنها : التوبة ، فمن تاب لغيره فقد شبهه به .

ومنها: الحلف باسمه[٦] تعظيمًا [٧] ؛ فمن حلف بغيره فقد شبهه به .

ومنها : الذبح له ، فمن ذبح لغيره فقد شبهه به .

ومنها: حلق الرأس .. إلى غير ذلك .

---

(١) في المطبوع :«شبهه».

(٢) في المطبوع :«لكن».

(٣) أي استخفوهم ، فذهبوا بهم وأزالوهم عما كانوا عليه.

(٤) يشير إلى ما أخرجه مسلم(٢٨٦٥) من حديث عياض بن حمار ﵁ أن رسول الله ﷺ قال :« ذات يوم في خطبته : ألا إن ربي أمرني ....».

(٥) في المطبوع :«الإلهية».

(٦) وكذا صفاته تعالى.

(٧) ليس في المطبوع :«تعظيمًا».

هذا في جانب التشبيه، وأمَّا في جانب التشبه، فمَن تعاظم وتكبر ودعا الناس إلى إطرائه[١]، ورجائه ومخافته فقد تشبه بالله ونازعه في ربوبيته وهو حقيق بأن يهينه الله غاية الهوان، ويجعله كالذر تحت أقدام خلقِهِ.

وفي «الصحيح» عنه ﷺ أنه قال: «**يقول الله عز وجل: العظمة إزاري، والكبرياء ردائي، فمن نازعني واحدًا[٢] منها عذبته**»[٣].

وإذا كان المصور الذي يصنع الصور بيده من أشد الناس عذاباً[٤] فما الظن بالتشبيه[٥] بالله في الربوبية والإلهية كما قال ﷺ «**أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون يقال لهم أحيوا ما خلقتم**»[٦].

---

(١) الإطراء: مجاوزة الحد في المدح، والكذب فيه. أ.هـ. من «النهاية»(٣/ ١٢٣) لابن الأثير.

(٢) في المطبوع: «في واحد...».

(٣) رواه مسلم (٢٦٢٠) عن أبي سعيد وأبي هريرة – رضي الله عنهما – قالا: قال رسول الله ﷺ: «العز إزاره والكبرياء رداءه فمن ينازعني عذبته».

(٤) في المطبوع: بعد «عذابًا»: هكذا: «يوم القيامة لتشبهه بالله في مجرد الصنعة، فما الظن...».

(٥) في المطبوع: «بالمتشبه».

(٦) رواه البخاري (٥٩٥٠)، ومسلم (٢١٠٩) عن ابن عمر رضي الله عنهما، وفي الباب عن غيره.

وقوله: «يقال لهم: أحيوا ما خلقتم»: هذه قطعة في حديث آخر عند البخاري (٥٩٥١)، ومسلم (٢١٠٨) عن ابن عمر رضي الله عنهما، وأخرجه البخاري (٥٩٥٧) ومسلم (٢١٠٧) -٩٦) عن عائشة رضي الله عنها.

وفي الصحيح عنه ﷺ أنه قال : يقول الله عز وجل :« **ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا ذرة فليخلقوا شعيرة** »[١] .

فنبه بالذرة والشعيرة على ما هو أعظم منها[٢] وكذلك من تشبه به تعالى في الاسم الذي لا ينبغي إلا له كملك الملوك وحاكم الحكام وقاضي القضاة ، ونحوه.

وقد ثبت في «الصحيح» عن النبي ﷺ أنه قال :« إن أخنع الأسماء عند الله رجل تسمى بشاهان شاه (ملك الملوك) لا مالك إلا الله »[٣] . وفي لفظ « أغيظ رجل عند الله رجل تسمى بملك[٤] الأملاك »[٥] .

وبالجملة ، فالتشبيه والتشبه هو حقيقة الشرك ، وكذلك[٦] كان من ظن أنه إذا تقرب إلى غيره بعبادة ما يقربه ذلك الغير إليه تعالى ؛ فإنه يخطئ لكونه شبهه به

(١) رواه البخاري (٥٩٥٧) ومسلم (٢١١١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) في المطبوع :«منهما».

(٣) رواه البخاري (٦٢٠٥) ومسلم(٢١٤٣).

تنبيه : قوله «شاهان شاه» هذا من قول سفيان بن عيينة ، قال الحافظ في «الفتح» : وهذا من سفيان أراد به النهي عن هذه اللفظة التي انتشرت في زمنه ؛لأنه بمقام ملك الملوك.أ.هـ.

(٤) في المطبوع :«ملك».

(٥) رواه مسلم (٢١٤٣) –٢١.

وقوله :« أغيظ» : من الغيظ ، وهو مثل الغضب والبغض.

(٦) في المطبوع :«لذلك».

وأخذ مالا ينبغي أن يكون إلا له .

فأشرك معه سبحانه فيه غيره فبخسه سبحانه[١] حقه فهذا قبيح عقلًا وشرعاً ولذلك لم يشرع ولم يغفر ، فاعلمه[٢] .

واعلم أن الذي ظن أن الرب سبحانه وتعالى لا يسمع له أو لا يستجيب له إلا بواسطة تُطلِعهُ على ذلك ، أو تسأل ذلك منه فقد ظن بالله ظن السوء ؛ فإنه إن ظن أنه لا يعلم أو لا يسمع إلا بإعلام غيره له وإسماعه فذلك نفي لعلم الله ولسمعه[٣] وكمال إدراكه وكفى بذلك ذنباً .

وإن ظن أنه يسمع، ويرى ، ولكن يحتاج إلى من يُلَيِّنُهُ ويُعَطِّفُهُ عليهم ؛ فقد أساء الظن بإفضال ربه وبره وإحسانه وسعة وجوده .

وبالجملة[٤]: فأعظم الذنوب عند الله تعالى إساءة الظن به وهذا يتوعده في كتابه علىٰ إساءة الظن به أعظم وعيد ، كما قال الله تعالى﴿ **الظَّانِّينَ بِالله ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ الله عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً**﴾[الفتح: من الآية٦]، وقال تعالى عن خليله إبراهيم عليه السلام ﴿**أَإِفْكاً**

(١) في المطبوع :«إلا له فالشرك منعه سبحانه وتعالى حقه».

(٢) في المطبوع :«ولم يغفر لفاعله».

(٣) في المطبوع :«وسمعه».

(٤) «الجواب الكافي» (ص:١٧٧) وما بعدها.

آلِهَةً دُونَ اللهِ تُرِيدُونَ ،فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات٨٦و٨٧] أي : فما ظنكم أن يجازيكم إذا عبدتم معه غيره ، وظننتم أنه يحتاج في الإطلاع على ضرورات عباده لمن يكون بابًا للحوائج إليه ، ونحو ذلك . وهذا بخلاف الملوك ؛ فإنهم محتاجون إلى الوسائط ضرورة لحاجتهم ،وعجزهم وضعفهم وقصور علمهم عن إدراك حوائج المضطرين ، فأما من لا يشغله سمعٌ عن سمع ، وسبقت رحمته غضبه، وكتب على نفسه الرحمة ، فما تصنع الوسائط عنده . فمن اتخذ واسطة بينه وبين الله تعالى فقد ظن به أقبح ظنٍّ[1] ، ومستحيل أن يشرعه لعباده بل ذلك ممتنع[2] في العقول والفطر .

واعلم أن الخضوع والتأله الذي يجعله العبد لتلك الوسائط قبيح في نفسه ، كما قررناه ، لا سيما إذا كان المجعول له ذلك عبداً للملك العظيم الرحيم القريب المجيب ومملوكاً له ، كما قال تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلاً مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾[الروم: من الآية٢٨]، أي إذا كان أحدكم يأنف أن يكون مملوكه شريكه في رزقه ، فكيف تجعلون لي من عبيدي شركاء فيما أنا منفرد به وهو الإلهية التي لا تنبغي لغيري ولا تصلح لسواي ؟!! فمن زعم ذلك فما قدرني حق قدري ولا عظمني حق تعظيمي .

---

(١) في المطبوع :«الظن».

(٢) في المطبوع :«يمتنع».

وبالجملة : فما قدروا الله[1] حق قدره من عبد معه من ظن أنه يوصل إليه ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً﴾[الحج: من الآية٧٣] الآية إلى أن قال ﴿ مَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[الحج:٧٤]، وقال ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[الزمر:٦٧].

فما قَدَرَ القويَّ العزيز حق قدره من أشرك معه الضعيف الذليل .

واعلم أنك إذا تأملت جميع طوائف الضلال والبدع ، وجدت أصل ضلالهم راجعاً إلى شيئين :

أحدهما :ظنهم[2] بالله ظن السوء .

والثاني : لم يقدروا الرب حق قدره ، فلم يقدره حق قدره من ظن أنه لم يرسل رسولاً ولا أنزل كتاباً بل ترك الخلق سدىً وخلقهم عبثاً ، ولا قدره حق قدره من نفى عموم قدرته وتعلقها بأفعال عباده من طاعتهم ومعاصيهم وأخرجها[3] عن خلقه وقدرته[1]، ولا قدر الله حق قدره أضداد هؤلاء[2] الذين

(١) في المطبوع :«فما قدر حقَّ».

(٢) في المطبوع :«الظن بالله».

(٣) في المطبوع :«أخرجهما».

قالوا: إنه يعاقب عبده على ما لم يفعله، بل يعاقبه على فعله هو[٣] سبحانه، وإذا استحال في العقول أن يجبر السيد عبده على فعل ثم يعاقبه عليه فكيف يصدر هذا من أعدل العادلين؟

وقول هؤلاء شر من أشباه المجوس القدرية الأذلين، ولا قدره حق قدره، من نفى رحمته ومحبته ورضاه وغضبه وحكمته مطلقًا، وحقيقة فعله، ولم يجعل له فعلًا اختياريًا[٤]، بل أفعاله مفعولات منفصلة عنه[٥]، ولا قدره حق قدره من

=

(١) كما ظنه أولئك المعتزلة القدرية.

(٢) يعني الجهمية الجبرية.

(٣) في المطبوع: بدون: «هو».

(٤) قال شيخ الإسلام: وهى الأمور التى يتصف بها الرب عز وجل فتقوم بذاته بمشيئته وقدرته مثل كلامه وسمعه وبصره وإرادته ومحبته ورضاه ورحمته وغضبه وسخطه .... ونحو ذلك من الصفات التى نطق بها الكتاب العزيز والسنة

فالجهمية ومن وافقهم من المعتزلة وغيرهم يقولون لا يقوم بذاته شيء من هذه الصفات ولا غيرها و الكلابية ومن وافقهم من السالمية وغيرهم يقولون تقوم صفات بغير مشيئته وقدرته فأما ما يكون بمشيئته وقدرته فلا يكون إلا مخلوقًا منفصلًا عنه وأما السلف وأئمة السنة والحديث فيقولون إنه متصف بذلك كما نطق الكتاب والسنة وهو قول كثير من أهل الكلام والفلسفة أو أكثرهم.أ.هـ من «الفتاوى»(٦/ ٢١٧-٢١٨).

(٥) يعني أنها أسماء لمخلوقات، وهي منفصلة عن ذات الله .

انظر: المصدر السابق وانظر ايضًا (ص: ٢١٩) من المصدر السابق وما بعد.

جعل له صاحبة وولداً، أو جعله يحل في مخلوقاته[١]، أو جعله عين هذا الوجود[٢]، ولا قدره حق قدره من قال: إنه رفع أعداء رسوله وأهل بيته وجعل فيهم الملك، ووضع أولياء رسوله وأهل بيته، وهذا يتضمن غاية القدح في الرب تعالى الله عن قول الرافضة، وهذا مشتق من قول اليهود والنصارى في رب[٣] العالمين: إنه أرسل ملكًا ظالمًا فادعى النبوة وكذب على الله، ومكث زمناً طويلاً يقول: أمرني بكذا ونهاني عن كذا، ويستبيح دماء أنبياء الله وأوليائه وأحبابه[٤] والرب تعالى يظهره ويؤيده ويقيم الأدلة والمعجزات على صدقه ويُقبِل بقلوب الخلق وأجسادهم إليه، ويقيم دولته على الظهور والزيادة[٥] ويذل أعداءه أكثر من ثمان مئة عام، فوازن بين قول هؤلاء وقول إخوانهم من الرافضة، تجد القولين سواء، ولا قدره حق قدره من زعم أنه لا يحيي الموتى ولا يبعث من في القبور ليبين لعباده الذين[٦] كانوا فيه يختلفون، ويعلم[١] الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين.

---

(١) كما هو مذهب الحلولية القائلين: بأن الله حلَّ في سائر مخلوقاته ولا شك في كفر هؤلاء.

(٢) كما هو حال الإتحادية، فلا يوجد في الكون عندهم خالق ومخلوق بل الكون كله عبارة عن شيء واحد وهؤلاء أشد كفرًا من الحلولية. انظر «الفتاوى» (٢/ ١٤٠).

(٣) في المطبوع: «في قول رب العالمين....».

(٤) في المطبوع: «أبناء الله وأحبائه».

(٥) انظر «شرح الطحاوية» (ص:١٧٨) وما بعد بتحقيقنا، و«هداية الحيارى» (ص:١٤١) لابن القيم.

(٦) في المطبوع: «الذي».

وبالجملة : فهذا باب واسع ، والمقصود أن كل من عبد مع الله غيره فإنه[٢] عبد شيطاناً . قال تعالى ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾ [يّس: من الآية٦٠] .

فما عبد أحدٌ أحداً من بني آدم كائناً من كان إلا وقعت[٣] عبادته للشيطان فيستمتع العابد بالمعبود في حصول غرضه ، ويستمتع المعبود بالعابد في تعظيمه له وإشراكه مع الله تعالىٰ ، وذلك غاية رضىٰ الشيطان .

ولهذا قال تعالى﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ﴾[الأنعام: من الآية١٢٨] ، أي : من إغوائهم وإضلالهم﴿ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾[الأنعام: من الآية١٢٨].

فهذه إشارة لطيفة إلى السر الذي لأجله كان الشرك أكبر الكبائر عند الله وأنه لا يُغفر بغير التوبة منه ، وأنه موجب للخلود في العذاب العظيم ، وأنه ليس

=

(١) في المطبوع :«ليعلم» .

(٢) في المطبوع :«فإنما» .

(٣) في المطبوع :«إلا وقد وقعت» .

تحريمه و قبحه لمجرد[١] النهي عنه فقط ، بل يستحيل على الله سبحانه وتعالى أن يشرع[٢] عبادة إلهٍ غيره كما يستحيل عليه ما يناقض أوصاف كماله ونعوت جلاله .

واعلم أن الناس في عبادة الله تعالى والاستعانة به علىٰ أربعة[٣] أقسام[٤] :

أجلها وأفضلها : أهل العبادة والاستعانة بالله عليها ، فعبادة الله غاية مرادهم ، وطلبهم منه أن يعينهم عليها ويوفقهم للقيام بها نهاية مقصودهم ، ولهذا كان أفضل ما يسأل الرب تعالى الإعانة على مرضاته ، وهو الذي علَّمه النبي ﷺ لمعاذ بن جبل فقال :« **يا معاذ ، والله إني أحبك فلا تدع أن تقول في كل دبر صلاة : اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك** »[٥]، فأنفع الدعاء طلب العون على مرضاته تعالىٰ...

ويقابل هؤلاء (**القسم الثاني**): المعرضون عن عبادته والاستعانة به[٦]فلا

---

(١) في المطبوع :«وأنه ليس تحريمه قبحة بمجرد».

(٢) في المطبوع :«أن يشرع لعباده عبادة ...» .

(٣) ليس في المطبوع :«علىٰ أربعة » .

(٤) انظر «المدارج»(١/ ٧٨-٨٢) وكذا «الفتاوى» (١٠/ ٣٢) وما بعد ، و(١٣/ ٣٢٣) ، و(١٤/ ١٠) وما بعد .

(٥) أخرجه أبو داود (١٥٢٢) ، والنسائي (١٣٠٢) ، وأحمد (٥/ ٢٤٤-٢٤٥) وغيرهم. وهو في الصحيح المسند لشيخنا الوادعي.

(٦) وهؤلاء شر الأقسام .

قال شيخ الإسلام – في كلامه على هذا القسم – : وهم فريقان أهل دنيا و أهل دين فأهل الدين

عبادة لهم ولا استعانة ، بل إن سأله تعالى أحدهم واستعان به فعلى حظوظه وشهواته ، والله سبحانه يسأله من في السماوات والأرض ويسأله أولياؤه وأعداؤه فيمد هؤلاء وهؤلاء ، وأبغض خلقه[١] إبليس ، ومع هذا أجاب سؤاله وقضى حاجته ومتعه بها ، ولكن لما لم تكن عوناً على مرضاته كانت زيادة في شقوته وبعده . وهكذا كل من سأله تعالى واستعان به على مالم يكن عوناً له على طاعته كان سؤاله[٢] مبعداً له عن الله فليتدبر العاقل هذا وليعلم أن إجابة الله لسؤال بعض السائلين ليست لكرامته عليه ، بل قد يسأله عبده الحاجة فيقضيها له وفيها هلاكه ويكون مَنعُه منها حماية له وصيانة ، والمعصوم من عصمه الله ، والإنسان على نفسه بصيرة .

وعلامة هذا : أنك ترى من صانه الله من ذلك وهو يجهل حقيقة الأمر إذا رآه سبحانه يقضي حوائج غيره يُسيء ظنَّه به تعالى ، وقلبه محشوٌّ بذلك وهو لا يشعر .

وأمارة ذلك : حمله على الأقدار ، وعِتابُه في الباطن لها ، ولقد كشف الله تعالى هذا المعنى غاية الكشف في قوله تعالى : ﴿ **فَأَمَّا الإنسان إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ**

=

منهم هم أهل الدين الفاسد الذين يعبدون غير الله و يستعينون غير الله بظنهم و هواهم و أهل الدنيا منهم الذين يطلبو ن ما يشتهونه من العاجلة بما يعتقدونه من الأسباب.أ.هـ من «الفتاوى» (١٤/ ١٢).

(١) في المطبوع :«خلق الله».

(٢) كما أخبر عنه سبحانه بقوله ﴿ قال رب فانظرني إلية يوم يبعثون * قال فإنك من المنظرين﴾

وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ * وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَن ، كلا﴾ ﴿الفجر ١٥و١٧﴾، أي : ليس كل من أعطيتُه ونعمتُه وخوّلتُه فقد أكرمته وماذاك لكرامته عليّ ولكنه ابتلاء مني وامتحان له أيشكرني فأعطيه فوق ذلك أم يكفر بي[١] فأسلبه إياه وأُحوِّله عنه لغيره ، وليس كل من ابتليتُه فضيَّقت عليه رِزقه وجعلته بقَدر لا يفضل عنه فذلك[٢] من هوانه عليّ ، ولكنه ابتلاء وامتحان مني له أيصبر فأعطيه أضعاف ما فاته ، أم يتسخط[٣] ؛ فيكون حظه السخط .

وبالجملة : فأخبر تعالى أن الإكرام والإهانة لا يدوران على المال وسعة الرزق وتقديره ؛ فإنه سبحانه يوسع على الكافر لا لكرامته ويُقَتِّر[٤] على المؤمن لا لهوانه عليه ، وإنما يكرم سبحانه من يكرم من عباده بأن يوفقه لمعرفته ومحبته وعبادته واستعانته ، فعادت[٥] سعادة الأبد في عبادة الله والاستعانة به عليها .

القسم الثالث من له نوع عبادة بلا استعانة[٦] ، وهؤلاء نوعان :

أحدهما: أهل القدر[١] القائلون : بأنه سبحانه قد فعل بالعبد جميع مقدور

(١) في المطبوع :«يكفرني....».

(٢) في المطبوع :«فذاك....».

(٣) في المطبوع :«يسخط....».

(٤) أي : يضيق في الرزق.

(٥) في المطبوع :«فغاية....».

(٦) وتركه لها إما للعجز أو التفريط. انظر «الفتاوى» (١٤/ ١٠).

من الألطاف وأنه لم يبق في مقدوره إعانة له على الفعل فإنه ، قد أعانه بخلق الآلات[٢] وسلامتها وتعريف الطريق ، وإرسال الرسول وتمكينه من الفعل ، فلم يبق بعدها إعانة مقدورة يسأله إياها ، وهؤلاء مخذولون موكولون إلى أنفسهم مسدود عليهم طريق[٣] الاستعانة والتوحيد . قال ابن عباس رضي الله عنهما : «الإيمان بالقدر نظام التوحيد فمن آمن بالله وكذب بقدره نقض توحيده»[٤] .

النوع الثاني[٥] : من لهم عبادات[٦] وأوراد ولكن حظهم ناقص من التوكل والاستعانة لم[٧] تتسع قلوبهم لارتباط الأسباب بالقدر[٨] ، وأنها بدون القدر[١]

=

(١) أي : نفاة القدر.

(٢) الجوارح.

(٣) في المطبوع :«طريقة....».

(٤) رواه عبدالله بن أحمد في «السنة» رقم (٩٢٥و٩٢٨) ، واللالكائي (٤/ ٦٢٣) .

والراوي له عن ابن عباس رجل مبهم.

وله طرق أخرى ضعيفة ، وقد جاء مرفوعًا إلى النبي ﷺ ولا يصح.

وقد بينت كل ذلك في تعليقنا على «شرح الطحاوية»(ص:٣٤٩-٣٥٠) والحمد لله.

(٥) وهو حال كثير من المتفقهة والمتعبدة . انظر «الفتاوى» (١٠/ ٣٢).

(٦) في المطبوع :«عبادة....».

(٧) في المطبوع :«فلم....».

(٨) قال الشيخ السعدي رحمه الله: ويظن كثير من الناس أن إثبات الأسباب ينافي الإيمان بالقضاء والقدر ، وهذا غلط فاحش جدًا ، وهو عائد على القدر بالإبطال ، وهو إبطال أيضًا للحكمة ، وكأنَّ

كالموات(٢) (٣) الذي لا تأثير له، بل كالعدم الذي لا وجود له، وأن القدر كالروح المحرِّك لها، والمعوَّل على المحرك الأول، فلم تنفذ بصائرهم من السبب إلى المسبب ومن الآلة إلى الفاعل فقل نصيبهم من الاستعانة، وهؤلاء لهم نصيب من

هذا الظان يقول ويعتقد أن الإيمان بالقدر هو اعتقاد وقوع الأشياء بدون أسبابها الشرعية والقدرية.

وهذا نفي للوجود لها فإنها كما ذكرنا أن الله ربط الكون بعضها ببعض، ونظم بعضه ببعض، وأوجد بعضه ببعض.

فهل تقول أيها الظان جهلًا: أن الأولى إيجاد البناء من دون بنيان، وإيجاد الحبوب والثمار والزروع من دون حرث وسقي وإيجاد الأولاد النسل من دون نكاح، وإدخال الجنة من دون إيمان وعمل صالح وإدخال النار من غير كفر ومعصية؟ وبهذا الظن والتقرير أبطلت القدر وأبطلت معه الحكمة.

أما علمت أن الله بحكمته وكمال قدرته جعل للمسببات أسبابًا وللمقاصد طرقًا ووسائل تحصل بها؟

وقرر هذا في الفطر والعقول كما قرره في الشرع وكما نفذه في الواقع فإنه أعطى كل شيء خلقه اللائق به، ثم هدى كل مخلوق إلى ما خلق له من أصناف السعي والحركة والتصرفات المتنوعة......

إلى أن قال: وفي خلقه تعالى الأشياء بأسبابها من الحكم والمنافع والأسرار ما لايدركه الوصف، وهذا من الأمور الجلية والحقائق الواضحة التي فطرت الخليقة كلها حتى الحيوان البهيم عليها .أ.هـ.

من المجموعة الكاملة لمؤلفات السعدي(٥/ ٤٧٣-٤٧٤).

(١) في المطبوع :«المقدور....».

(٢) في المطبوع :«كالموت....».

(٣) الموات : قال في «المصباح المنير» (ص:٢٢٣) : والموات بضم الميم والفتح لغة مثل الموت، وماتت الأرض موتانًا ومَوَاتًا بالفتح : خلت من العمارة والسكان فهي موات، تسمية بالمصدر .أ.هـ.

التصرف بحسب استعانتهم وتوكلهم ، ونصيب من الضعف والخذلان بحسب قلة استعانتهم وتوكلهم ، ولو توكل العبد على الله حق توكله في إزالة جبل عن مكانه لأزاله .

فإن قيل : ما حقيقة الاستعانة عملًا ؟

قلنا : هي التي يعبر عنها بالتوكل وهي حالة في القلب[١] تنشأ عن معرفة الله تعالى وتفرده بالخلق والأمر والتدبير والضر والنفع ، وأنه ماشاء كان ومالم يشأ لم يكن ، فتوجب اعتماداً عليه وتفويضاً إليه وثقة به ، فيصير[٢] نسبة العبد إليه تعالى نسبة[٣] الطفل إلى أبويه فيما ينوبه من رغبته ورهبته ، فلو دهمه[٤] ما عسى أن يدهَمَهُ من الآفات لم يلتجئ إلى غيرهما ، فإن كان العبد مع هذا الاعتماد من أهل التقوى كانت له العاقبة الحميدة ﴿**وَمَنْ يَتَّقِ الله يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً ﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى الله فَهُوَ حَسْبُهُ**﴾[الطلاق ٢ و٣] ، أي : كافيه .

القسم الرابع : من له استعانة بلا عبادة وتلك حالة من شهد تفرد الله بالضر والنفع ولم يَدرِ ما[٥] يحبه ويرضاه ، فتوكَّل عليه في حظوظه فأسعفه بها ، وهذا لا

---

(١) في المطبوع :«للقلب....».

(٢) في المطبوع :«فتصير....» بالتاء .

(٣) في المطبوع :«كنسبة....».

(٤) في «مختار الصحاح» : دهمهم الأمر : غشيهم .أ.هـ.

(٥) في المطبوع :«بما....».

عاقبة له سواء كانت أموالاً أو رياسات أو جاهاً عند الخلق أو نحو ذلك ، فذلك حظه من دنياه وآخرته[١] .

واعلم[٢] أن العبد لا يكون متحققاً بعبادة الله تعالى إلا بأصلين :

أحدهما : متابعة الرسول ﷺ .

والثاني : إخلاص العبودية .

والناس في هذين الأصلين أربعة[٣] أقسام[٤] :

أحدها : أهل الإخلاص والمتابعة ، فأعمالهم كلها لله وأقوالهم مَنعُهم وعطاؤهم[٥] وحبهم وبغضهم ، كل ذلك لله تعالى لا يريدون من العباد جزاءً ولا

---

(١) قال شيخ الإسلام : وهذه حال كثير ممن يتأله ويتصوف ويشهد قدر الله وقضاءه ، ولا يشهد أمر الله ونهيه، ويشهد قيام الأكوان بالله وفقرها إليه وإقامته لها ولا يشهد ما أمر به وما نهى عنه... ولهذا يكثر في هؤلاء من له كشف وتأثير وخرق عادة مع انحلال عن بعض الشريعة ومخالفة لبعض الأمر ، وإذا أوغل الرجل منهم دخل في الإباحية الإنحلال ، وربما صعد إلى فساد التوحيد فيخرج إلى الإتحاد والحلول المقيد .أ.هـ. من «الفتاوى» (١٤/ ١١).

(٢) انظر «المدارج» (١/ ٨٣-٨٥) و«الفتاوى»(٣/ ١٢٤).

(٣) في المطبوع :«علىٰ أربعة ....».

(٤) ليست في المخطوط وأثبتناها من«المدارج».

(٥) في المخطوط «عطاهم» وفي المطبوع :«إعطاؤهم» والتصويب من مدارج السالكين.

شكوراً، عدُّوا[(١)] الناس كأصحاب القبور لا يملكون ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً، [فإنه لا يعامل أحداً من الخلق إلا لجهله بالله وجهله بالخلق][(٢)] والإخلاص هو العمل الذي لا يقبل الله من عاملٍ عملاً صواباً عارياً منه، وهو الذي ألزم عباده به إلى الموت، قال تعالىٰ: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾[الملك: من الآية٢] وقال ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾[الكهف:٧]، وأحسن العمل أخلصه وأصوبه، فالخالص أن يكون لله، [والصواب][(٣)] أن يكون على وفق سنة رسول الله ﷺ[(٤)]،وهذا هو العمل الصالح المذكور في قوله تعالى﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً﴾[الكهف: من الآية١١٠، وهو العمل الحسن في قوله تعالى]﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ للهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾[النساء: من الآية١٢٥][(٥)]، وهو

---

(١) في المخطوط :«أعدوا....» والمثبت من «المدارج».

(٢) في «المدارج»: لا يعامل أحد الخلق دون الله إلا لجهله بالله، وجهله بالخلق وإلا فإذا عرف الله وعرف الناس آثر معاملة الله على معاملتهم.أ.هـ.

(٣) ليست في المخطوطة وأثبتناها من المدارج.

(٤) هذا من كلام الفضيل بن عياض – رحمه الله – انظر «الإخلاص» لابن أبي الدنيا (١/ رقم ٢٢) ضمن الموسوعة، و«الحلية» لأبي نعيم (٨/ ٩٥) و«شعب الإيمان» (٥/ رقم٦٨٦٩)، والسنن الصغرى»(١/ ٦) و«ذم الكلام» للهروي (٣/ رقم ٤٧٣) وسنده حسن إن شاء الله.

(٥) في المطبوع تقديم وتأخير في الآيتين السابقتين.

الذي أمر [١] النبي ﷺ في قوله : « **كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد** » [٢]،وكل عمل بلا متابعة فإنه لا زيد عامله[٣] إلا بعداً من الله تعالى ، فإن الله تعالى إنما يعبد بأمره لا بالأهواء والآراء .

الضرب الثاني : من لا إخلاص له ولا متابعة له وهؤلاء شرار الخلق وهم المتزيّنون بأعمال الخير يراءون بها الناس ، وهذا الضرب يكثر فيمن انحرف عن الصراط المستقيم من المنتسبين إلى الفقه والعلم والفقر والعبادة[٤] فإنهم يرتكبون البدع والضلال والرياء والسمعة[٥] ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا ، وفي أضراب

---

(١) في المطبوع :«أمر به ...» .

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ٤٤٨) مع «الفتح» ، ووصله مسلم (١٧١٨) – ١٨ .

ورواه البخاري (٢٦٩٧) ومسلم (١٧١٨) بلفظ:« من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد» كلاهما من حديث عائشة – رضي الله عنها – .

(٣) في المخطوط :«عمله» والتصويب من المدارج.

(٤)يعني أهل التصوف ، فإنهم يقولون : من شروط الولاية الزهد والفقر والذل والسهر وغير ذلك من المفاهيم الخاطئة .

راجع – إن شئت – : كتاب «مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية»(٢/ ٧٩١) وما بعد.

انظر : «تيسير العزيز الحميد» (ص:٥٢٥) ، وحاشية ابن القاسم على كتاب التوحيد (ص:٢٦٤).

(٥) والفرق بين الرياء والسمعة ؛ أن الريا هو العمل لرؤية الناس ، فهو متعلق بحاسة البصر كالصلاة والصدقة وغير ذلك مما يرى .

وأما السمعة : فهو العمل لأجل سماعهم فتكون متعلقة بحاسة السمع كالقراءة والوعظ والذكر

هؤلاء نزل قوله تعالى: ﴿لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1] [آل عمران:١٨٨].

الضرب الثالث: من هو مخلص في أعماله لكنها على غير متابعة الأمر، كجهال العباد والمتنسبين[2] إلى الزهد والفقر[3]، وكل مَن عَبَدَ الله على غير مراده.

والشأن ليس في عبادة الله فقط، بل في عبادة الله كما أراد الله، ومنهم من يمكث في خلوته[4] تاركاً للجمعة، ويرى ذلك قربةً ويرى مواصلة صوم النهار والقيام بالليل قربة، وأن صيام يوم الفطر قربة وأمثال ذلك.

الضرب الرابع: مَن أعماله على متابعة الأمر، لكنها لغير الله تعالى كطاعات

= ويدخل فيها أن يخفي عمله لله ثم يحدث به الناس.

انظر: «تيسير العزيز الحميد» (ص:٥٢٥)، وحاشية ابن القاسم على كتاب التوحيد (ص:٢٦٤).

(١) قال ابن كثير – رحمه الله –: يعني بذلك المرائين المتكثرين بما لم يعطوا، كما جاء في الصحيح عن النبي ﷺ: «من ادعى دعوى كاذبة ليتكثر بها لم يزده الله إلا قلة» وفي «الصحيحين» أيضًا «المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور». أ.هـ.

(٢) في المخطوط: «المتنسبين» من غير واو عطف والمثبت من «المدارج».

(٣) يعني الصوفية وقد سبق آنفًا التعليق عليه.

(٤) الخلوات جمع خلوة، وهو المكان الذي ينفرد بالنفس أو بغيرها فيه.

انظر: «المعجم الوسيط» (ص:٢٧٧).

قلت: وهذا من اصطلاحات الصوفية.

المرائين، وكالرجل يقاتل رياء وسمعة وحمية وشجاعة وللمغنم ويحج ليقال، ويقرأ ليقال، ويُعَلِّم[١] ليقال، فهذه أعمال صالحة لكنها غير مقبولة؛ قال تعالىٰ: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا الله مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء﴾[البينة:من الآية٥].

فلم يأمر[٢] الناس إلا بالعبادة على المتابعة والإخلاص فيها، والقيام[٣] بهما هم أهل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

ثم أهل مقام ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ لهم في أفضل العبادة وأنفعها وأحقها بالإيثار والتخصيص أربعة طرق، وهم في ذلك أربعة أصناف:

الصنف الأول: عندهم أنفع العبادات وأفضلها أشقُّها على النفوس وأصعبها قالوا: إنه[٤] أبعد الأشياء من هواها وهو حقيقة التعبد، والأجر على قدر المشقة[٥] ورووا حديثًا ليس له أصل: «**أفضل الأعمال أحمزُها**»[٦]، أي: أصعبها وأشقها،

---

(١) في المطبوع: «ويعلم ويؤلف ليقال ...».

(٢) في المطبوع: «يؤمر ...».

(٣) في المطبوع: «القائم ...».

(٤) في المطبوع: «لأنه ...».

(٥) لقوله ﷺ لعائشة – رضي الله عنها – ولكنها على قدر نصبك – أو قال – نفقتك».

رواه البخاري (١٧٨٧)، ومسلم (١٢١١) – ١٢٦.

(٦) ذكره أبو عبيد في «الغريب»(٤/ ٢٣٣) من طريق ابن جريج عمن حدثه عن ابن عباس به.

قلت: ابن جريج مدلس ثم الواسطة مبهمة.

وقد قال ابن القيم: لا أصل له. أ.هـ. «المدراج»(١/ ٨٥).

وهؤلاء هم أرباب المجاهَدات والجور[1] على النفوس ، قالوا وإنما تستقيم النفوس بذلك ، إذ طبعها الكسل والمهاونة والإخلاد إلى الراحة فلا تستقيم إلا بركوب الأهوال وتحمُّل المشاق .

الصنف الثاني : قالوا : أفضل العبادات وأنفعها التجرد والزهد في الدنيا والتقلل منها غاية الإمكان واطراح الاهتمام بها ، وعدم الاكتراث لما هو منها .

ثم هؤلاء قسمان :

فعوامهم ظنوا أن هذا غاية ، فشمَّروا إليه، وعملوا عليه ، وقالوا : هو أفضل من درجة العلم والعبادة ورأوا الزهد في الدنيا غاية كل عبادة ورأسها ، وخواصهم رأوا هذا مقصوداً لغيره ، وأن المقصود به عكوف القلب على الله تعالى ، والاستغراق في محبته والإنابة إليه والتوكل عليه ، والاشتغال بمرضاته ، فرأوا أفضل العبادات دوام ذكره بالقلب واللسان ، ثم هؤلاء قسمان :

فالعارفون إذا جاء الأمر والنهي بادروا إليه ولو فرَّقهم وأذهب جمعيتهم.[2]

والمنحرفون منهم يقولون: المقصود من القلب جَمِعيَّتُه[1] فإذا جاء ما يفرقه

=

وقال الزركشي : لا يعرف ، وقال المزي : هو من غرائب الأحاديث ولم يرو في شيء من الكتب الستة .أ.هـ. من «كشف الخفاء»(١/ ١٧٥).

(١) الجَور: نقيض العدل ، وضد القصد .أ.هـ. من «القاموس»(ص:٤٧٠).

(٢) في المطبوع :«جمعهم ...» .

والمنحرفون منهم يقولون: المقصود من القلب جَمعِيَّته[١] فإذا جاء ما يفرقه عن الله لم يلتفتوا إليه، ويقولون:

يُطالَبُ بالأوراد من كان[٢] فكيف بقلب كلُّ أوقاته وِردُ

ثم هؤلاء أيضًا قسمان:

منهم من يترك الواجبات والفرائض لجمعيَّته.

ومنهم من يقوم بها ويترك السنن والنوافل ويَعلم العلم النافع لجمعيَّته.

والحق أن الجمعية حظ[٣] القلب، وإجابة داعي الله حق الرب، فمن آثر حق نفسه على حق ربه فليس من العبادة في شيءٍ[٤].

الصنف الثالث: رأوا أن أفضل العبادات ما كان فيه نفع متعدٍّ فرأوه أفضل

---

(١) لجمعيَّة: مصطلح صوفي، معناه: اجتماع الهمم في التوجه إلى الله والاشتغال به عما سواه، وبإزائها التفرقة. انظر: «التوقيف» (ص:٢٥٣) للمناوي.

(٢) في المخطوط: «من هو غافل». والمثبت من «المدارج».

(٣) الحظ: النصيب.

(٤) والسعيد من وفق في إعطاء كل ذي حق حقه، وإن كان الإنسان في الأصل إذا اشتغل بأوامر ربه وترك نواهيه فهذا حياة القلوب، وأما إدامة الذكر والتفكر مع إضاعة الأوامر والنواهي فهذا في الحقيقة موت القلوب وهلاكها، وطاعة للشيطان وتلبيس منه فتدبر هذا جيدًا تعلم هلاك هؤلاء. نسأل الله العافية.

من النفع القاصر[١]، فرأوا خدمة الفقراء والاشتغال بمصالح الناس وقضاء حوائجهم ومساعدتهم بالجاه والمال والنفع أفضل لقوله ﷺ :« **الخلق عيال الله وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله**[٢] »[٣] ، قالوا : وعمل العابد قاصر على نفسه ، وعمل النَّفَّاع[٤] متعدٍّ إلى الغير ، فأين أحدهما من الآخر ؟ ولهذا كان فضل العالم علىٰ العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب[٥] .

---

(١) أي العائد على نفس الفاعل فقط من صلاة وصيام وقيام.

(٢) في المطبوع :«لعباده ...» .

(٣) رواه الطبراني (١٠/ رقم ١٠٠٣٣) ، وابن عدي في «الكامل»(٦/ ٢٣٤٠) ، وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ١٠٢) ، وابن حبان في «المجروحين» (٢/ ٢٣٨) عن ابن مسعود ﷺ به مرفوعًا .

وفيه : موسى بن عمير الجعدي ، قال الحافظ : متروك، وقد كذبه أبو حاتم.أ.هـ.

وله شاهد من حديث أنس بن مالك ، رواه أبو يعلى (٦/ رقم ٣٣١٥) ، والبزار في «البحر الزخار » (١٣/ رقم ٦٩٤٧) ، وابن عدي في «الكامل»(٧/ ٢٦١١) لكنه من طريق يوسف بن عطية الصفار ، قال الحافظ : متروك.

فالحديث لايثبت من هذه الطريقين.

(٤) يقال : نَفَعَه نفعًا : أفاده وأوصل إليه خيرًا ، فهو نافع ونفَّاع .أ.هـ. من « المعجم الوسيط»(ص:٩٨٢).

(٥) يشير إلى حديث أبي الدرداء ﷺ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ الله بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضَاءً لِطَالِبِ الْعِلْمِ ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ حَتَّى الْحِيتَانُ فِي الْمَاءِ ، وَفَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ ، وإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا ،

و إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ ».

رواه الترمذي (٢٦٨٢) وأحمد (٥/ ١٩٦) من طريق عاصم بن رجاء بن حيوة عن قيس بن كثير قال : قدم رجل من المدينة إلى أبي الدرداء .....»الحديث.

وهذا السند ضعيف ، فإن الترمذي قد أعله بالانقطاع ، وأن الصحيح هو : عاصم [عن داود بن جميل] عن كثير بن قيس عن أبي الدرداء ، هكذا قال الترمذي ونقله عن البخاري.

وبهذا السند رواه أبو داود (٣٦٤١) وابن ماجة (٢٢٣) وأحمد(٥/ ١٩٦).

وعلى كل فالسند لا يزال ضعيفًا ؛ فإن كثير بن قيس ويقال قيس بن كثير قال الحافظ : ضعيف ، وكذا داود بن جميل.

تنبيه : الحديث رواه ابن قانع في «المعجم»(٢/ ٣٨٧-٣٨٨) وجعل كثير بن قيس صحابيًا وهذا وهم منه راجع «الإصابة» (٥/ ٤٨٩) ، و«الاستيعاب» (٣/ ١٣٠٩).

أقول : وقد رواه عن عاصم بن رجاء جمع : أبو نعيم وعبدالله بن داود الخريبي ومحمد بن يزيد الواسطي والأوزاعي برويات مختلفة سندًا كما ذكره الدارقطني في «العلل» (٦/ ٢١٦-٢١٧) بل إن الأوزاعي قد اختلف عنه فيه كما في «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم(٩/ ٢٦٨).

وهذا الاختلاف قد يكون من قبل «عاصم» نفسه فإنه – كما قال الحافظ – صدوق يهم.

والحديث أيضًا فيه اختلاف من جهة أخرى ذكره المنذري في «مختصر السنن» (٥/ ٢٤٣-٢٤٤) وقد حكم على الحديث بالاضطراب جماعة .

انظر : «المقاصد الحسنة» رقم (٧٠٣) و«ميزان الاعتدال» (٢/ ٤-٥) و«بيان الوهم والإيهام»(٤/ ٢٧-٢٩).

وجاء هذا الحديث من طرق أخرى ، فقد رواه أبو داود (٣٦٤٢) من طريق الوليد وهو بن مسلم عن شبيب بن شيبة عن عثمان بن أبي سودة عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ بمعناه وشبيب بن شيبة شامي مجهول لم يذكر المزي في «تهذيبه» راويًا عنه سوى الوليد بن مسلم.

قال المزي بعد أن ذكر سند أبي داود : وقال عمرو بن عثمان الحمصي عن الوليد عن شعيب بن رزيق عن عثمان بن أبي سودة .

وهو أشبه بالصواب أ.هـ. من «تهذيب الكمال»(١٢/ ٣٦٨) .

وقد تعقب ابن كثير في «جامع المسانيد»(١٣/ ٦٠٥) شيخه المزي وأورد طريق الطبراني الذي يرويه اثنان عن الوليد حدثنا خالد بن أبي مالك عن عثمان عن أبي الدرداء به مرفوعًا.

لكن مع هذا فخالد بن أبي مالك – وهو ابن يزيد بن عبدالرحمن – قال الحافظ : ضعيف ، وقد اتهمه ابن معين .أ.هـ

قلت: وقال أبو داود متروك الحديث .أ.هـ. من «سؤالات الآجري» (٢/ ٢٠٣).

ورواه أبو يعلى من طريق أخرى عن الوليد كما في «تاريخ عساكر»(٣٨/ ٣١٨) عن رجل عن عثمان بن أيمن عن أبي الدرداء به ثم رواه ابن عساكر من طريق أخرى بيَّن فيه الرجل المبهم أنه خالد بن يزيد المري .

قلت: وهو ثقة كما في «التقريب» . وعثمان بن أيمن ذكره ابن عساكر ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا .

وعلى كل حال فهذا السند مداره على الوليد بن مسلم وقد اختلف عنه فيه ، وهو مع ثقته فإنه كثير التدليس والتسوية.

وحاصل الأمر أن الحديث عن أبي الدرداء لا يصح للاضطراب في السند.

ورواه الخطيب في «التاريخ»(١/ ٣٩٨) من طريق أخرى عن عطاء الخراساني عن أبي الدرداء به.

وهذا منقطع بين عطاء وأبي الدرداء.

ورواه الآجري في «الأخلاق» رقم (٢٤) وفيه اختصار ، وهو من طريق عثمان بن عطاء عن أبيه عن أبي الدرداء ، وعثمان : ضعيف ، وأبوه – عطاء الخرساني – لم يسمع من أبي الدرداء.

ورواه ابن ماجة (٢٣٩) مختصرًا من طريق عثمان بن عطاء عن أبيه عن أبي الدرداء وقد علمت

=

ضعفه.

وقال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٣/ ٩) بعد أن ذكر بعض طرق الحديث / وللحديث طريق سالمة من الضعف والاضطراب: رواه الطبراني في «معجمه الكبير» : حدثنا محمد بن عبدالله الحضرمي ، ثنا عمر بن محمد بن الحسن الأسدي ، ثنا أبي ، ثنا شيبان بن عبدالرحمن ، عن عتبة بن عبدالله عن يونس بن يزيد عن عطاء بن أبي رباح عن أبي الدرداء.....فذكره أ.هـ.

أقول : محمد بن الحسن الأسدي هو ابن الزبير . تُكلم فيه وقد ضعفه جماعة من العلماء وذكر ابن عدي والذهبي أن له أفرادًا ومناكير . هذا أمر ، وأمر آخر أنه يخشى من الانقطاع فإن عطاء قال الحافظ فيه : ثقة وكان كثير الإرسال . ولم أجد من ذكر سماعه من أبي الدرداء . والله أعلم .

- وللحديث شواهد *
- فقد روى مسلم (٢٦٩٩) من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا :« ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له به طريقًا إلى الجنة ».
- وروى الترمذي (٣٥٣٥) ، وأحمد (٤/ ٢٣٩) عن صفوان بن عسال مرفوعًا :« إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يطلب».

وهو في الصحيح المسند لشيخنا الوادعي رحمه الله.

- وقوله : «وإنه ليستغفر لعالم ....»: سيأتي ذكر شواهده قريبًا.
- وقوله: « وفضل للعالم .....» له شاهد عند أبي نعيم في «الحلية» (٩/ ٤٥) من طريق عثمان الخراساني عن أبيه عن معاذ بن جبل مرفوعًا وهذا سند فيه ضعيف وهو عثمان وأبوه عطاء الخرساني لم يسمع من معاذ .
- وقوله: « إن العلماء ورثة الأنبياء....» جاء عن جماعة من الصحابة:

١- عن ابن مسعود ، رواه السهمي في «تاريخ جرجان» (ص: ٣٣٥-٣٣٦) وفيه أبو حنيفة : ضعيف.

=

وقد قال ﷺ لعلي :« لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حُمُر النعم»(١).

وقال:« من دعا إلى هدىً كان له من الأجر مثل أجور من تبعه من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً»(٢).

وقال :« إن الله وملائكته ليصلون على معلِّمي الناس الخير»(٣).

٢- عن البراء بن عازب ، رواه أبو نعيم في «فضل العالم العفيف» كما في «تخريج أحاديث الكشاف» (٣/ ٩-١٠) للزيلعي ، والديلمي كما في « المقاصد الحسنة» رقم (٧٠٣) وفيه شريك وهو ابن عبدالله : ضعيف.

٣- عن عبدالله بن عمرو ، رواه أبو نعيم كما عند الزيلعي في «أحاديث الكشاف» (٣/ ١٠) وفيه ضعفاء .

٤- عن جابر بن عبدالله ، رواه الخطيب في «التاريخ» (٤/ ٤٣٨) وسنده ضعيف جدًا بل موضوع ، وقد ساقه ابن الجوزي في «العلل» (/ ٦٩-٧٠) ، وضعفه ثم قال : وقد روي «العلماء ورثة الأنبياء» بأسانيد صالحة .أ.هـ.

٥- عن أنس بن مالك . رواه الديلمي بغير سند كما في «المقاصد» (٧٠٣) .

أقول : وهو بمجموع هذه الطرق يحتمل – إن شاء الله – تحسينه. أعني قوله :« إن العلماء...»

(١) رواه البخاري (٣٧٠١) ومسلم (٢٤٠٦) عن سهل بن سعد الساعدي وحُمْر النَّعم : أنفس الإبل.

(٢) رواه مسلم (٢٦٧٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) رواه الترمذي (٢٦٨٥) والطبراني (٨/ رقم ٧٩١٢) من طريق سلمة بن رجاء عن الوليد

وقال :« **إن العالم يستغفر له من في السماوات ومن في الأرض حتى الحيتان في البحر والنملة في جحرها** »[1] ، قالوا : وصاحب العبادة إذا مات انقطع عمله ، وصاحب النفع لا ينقطع عمله مادام نفعه الذي تسبب فيه .

بن جميل عن القاسم عن أبي أمامة وهذا السند ضعيف لضعف القاسم - وهو ابن عبدالرحمن - ثم إن سنده شاذ أو منكر ، فقد رواه الدارمي في السنن رقم (٢٩٧): حدنا يعقوب بن إبراهيم ثنا يزيد بن هارون ثنا الوليد بن حميل عن مكحول به مرسلًا ، فيزيد بن هارون : ثقة متقن ، والمخالف له ، سلمة بن رجاء ، قال الحافظ فيه : صدوق يغرب .أ.هـ. فالصحيح أن الحديث مرسل.

فائدة : قال ابن عبدالبر في «الجامع» (١/ ١٧٤) : الصلاة هٰهنا : الدعاء والاستغفار .أ.هـ.

(١) هو قطعة من حديث أبي الدرداء المتقدم : « من سلك طريقًا....»

وله شاهد من حديث جابر ﷺ عند الطبراني في «الأوسط»(٧/ رقم ٦٢١٥) وفي سنده إسماعيل بن عبدالله بن زرارة ، أقل أحواله أنه في الشواهد .

وآخر عن أنس عند ابن عدي (٣/ ١٠٤٤) وفيه زياد بن ميمون البصري : متكلم فيه جدًا.

وآخر عن عائشة عند البزار كما في «الكشف» رقم (١٣٣) قال الهيثمي في «المجمع»(١/ ١٢٤) : وفيه محمد بن عبدالملك وهو كذاب .أ.هـ.

وآخر عن ابن عباس رواه الطبراني في «الأوسط»(٨/ رقم ٧١٨٣) وفيه : عبدالله بن خراش : ضعيف جدًا . انظر «الميزان»(٢/ ٤١٣).

ورواه ابن عبدالبر في «الجامع» (١/ رقم ١٨٢) من طريق أخرى عنه وفيه انقطاع بين الضحاك بن مزاحم وابن عباس ، وفيه خالد بن عبدالأعلى لم أعرفه بعد البحث.

وآخر عن ابن عباس موقوفًا رواه الدارمي رقم (٣٥٥) وأبو خيثمة في «العلم» (رقم :٦) وهو صحيح ، ورواه ابن عبدالبر (١/ رقم ١٨١) عن ابن عباس بسند صحيح.

والأنبياء عليهم السلام إنما بُعِثوا بالإحسان إلى الخلق وهدايتهم ونفعهم في معاشهم ومعادهم لم يُبعثوا بالخلوات والانقطاع، ولهذا أنكر النبي ﷺ على أولئك النفر الذين همُّوا بالانقطاع والتعبد وترك مخالطة الناس(١)، ورأى هؤلاء أن التفرغ لنفع الخلق أفضل من الجمعية على الله بدون ذلك، قالوا: ومِن ذلك العلمُ والتعليم ونحو هذه الأمور الفاضلة.

الصنف الرابع: قالوا: أفضل العبادة العمل على مرضاة الرب سبحانه واشتغال كل وقت بما هو مقتضى ذلك الوقت ووظيفته، فأفضل(٢) العبادات في وقت الجهاد: الجهاد، وإن آلَ إلى ترك الأوراد من صلاة الليل وصيام النهار، بل من ترك إتمام صلاة الفرض كما في حالة الأمن.

والأفضل في وقت حضور الضيف: القيام بحقه والاشتغال به.

والأفضل في أوقات(٣) السحر: الاشتغال بالصلاة والقرآن والذكر والدعاء.

والأفضل وقت الآذان: ترك ما هو فيه من الأوراد والاشتغال بإجابة المؤذِّن.

والأفضل في أوقات الصلوات الخمس: الجد والاجتهاد في إيقاعها على أكمل

---

(١) يشير إلى حديث أنس بن مالك رضي الله عنه الذي رواه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١).

(٢) في المطبوع: «فالأفضل».

(٣) في المطبوع: «وقت...».

الوجوه كالمبادرة[١] إليها في أول الوقت والخروج إلى المسجد وإن بَعُدَ .

والأفضل في أوقات ضرورة المحتاج : المبادرة إلى مساعدته بالجاه والمال والبدن.

والأفضل في السفر: مساعدة المحتاج وإعانة الرِّفقة وإيثار ذلك على الأوراد والخلوة.

والأفضل في وقت قراءة القرآن : جمعية القلب والهمَّة على تدبره والعزم على على تنفيذ أوامره أعظم من جمعية قلب من جاءه كتاب من السلطان على ذلك .

والأفضل في وقت الوقوف بعرفة : الاجتهاد في التضرع والدعاء والذكر .

والأفضل في أيام عشر ذي الحجة : الإكثار من التعبد لا سيما التكبير والتهليل والتحميد وهو أفضل من الجهاد غير[٢] المتعين .

والأفضل في العشر الأُخر[٣] من رمضان : لزوم المساجد والخلوة فيها مع الاعتكاف والإعراض عن مخالطة الناس والاشتغال بهم حتى أنه أفضل من الإقبال على تعليم[٤] العلم وإقرائهم القرآن [عند كثير من العلماء] [١] .

(١) في المطبوع :«والمبادرة ...» .

(٢) في المطبوع :«الغير ...» .

(٣) في المطبوع :«العشر الأواخر ...» .

(٤) في المطبوع :«تعليمهم ...» .

والأفضل في وقت مرض أخيك المسلم أو موته : عيادته وحضور جنازته وتشييعه وتقديم ذلك على خلوتك وجمعيتك .

والأفضل في وقت نزول النوازل وأذى[٢] الناس لك : أداء واجب الصبر مع خلطتك لهم ، والمؤمن الذي لا يخالط الناس ويصبر على أذاهم[٣] أفضل من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم[٤] ، وخلطتهم في الخير أفضل من عزلتهم فيه ، وعزلتهم في الشر خير[٥] من خلطتهم فيه .

فإن علم أنه إذا خالطهم أزاله وقلّله[٦] ، فخلطتهم خير من اعتزالهم[٧] ، وهؤلاء هم أهل التعبد المطلق ، والأصناف التي قبلهم أهل التعبد المقيد ، فمتى

=

(١) في المطبوع :«هذه زيادة من «المدارج» وهي في المطبوع.

(٢) في المطبوع :«وإيذاء ...» .

(٣) في المطبوع:« علىٰ أذاهم أو إيذائهم».

(٤) الترمذي (٢٥٠٧) والبخاري في «الأدب»(٣٨٨) ، وأحمد (٢/ ٤٣) و(٥/ ٣٦٦) : «المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم » .

وقع اختلاف في صحابيه هل هو شيخ من أصحاب رسول الله ﷺ أم هو ابن عمر ؟

وهذا لا يضر فيه كما هو معلوم .

راجع «السلسلة الصحيحة» رقم (٩٣٩).

(٥) في المطبوع :«أفضل...» .

(٦) في حاشية المخطوطة : «قوله» : إزاله وقلله ، أي الشر المتقدم ذكره» أ.هـ.

(٧) راجع كتاب «العزلة» للخطابي.

خرج أحدهم عن الفرع الذي تعلق به من العبادة وفارقه يرى نفسه كأنه قد نقص ونزل عن عبادته فهو يعبد الله تعالى على وجه واحد ، وصاحب التعبد المطلق ليس له غرض في تعبد بعينه يؤثره على غيره ، بل غرضه تتبُّع مرضاة الله تعالى ، إن رأيت العلماء رأيته معهم وكذلك في الذاكرين والمتصدقين وأرباب الجمعية وعطوف القلب على الله ، فهذا هو الغذاء الجامع للسائر إلى الله في كل طريق والوافد عليه مع كل فريق .

واستحضر هنا حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه وقول النبي ﷺ بحضوره :«**هل منكم أحدٌ أطعم اليوم مسكيناً** »؟ قال أبو بكر : أنا ، قال : «**هل منكم أحدٌ أصبح اليوم صائماً** »؟ قال أبو بكر : أنا ، قال : « **هل منكم أحد عاد اليوم مريضاً** » ؟ قال أبو بكر : أنا ، قال : «**هل منكم أحد اتبع جنازة** »؟ قال أبو بكر : أنا...»الحديث[1] .

هذا الحديث رُوِي من طريق عبد الغني بن أبي عقيل ، حدثنا نُعيم بن سالم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ جالساً في جماعة من أصحابه فقال : «من صام اليوم» ؟ فقال أبو بكر : أنا ، قال : «من تصدق اليوم» ؟ قال أبو بكر : أنا ، قال : «من عاد اليوم مريضًا» ؟ قال أبو بكر : أنا قال : «فمن[2]

---

(١) رواه مسلم (١٠٢٨) عن أبي هريرة ﷺ بنحوه.

(٢) في المطبوع :«من...» .

شهد اليوم جنازة» ؟ قال أبو بكر : أنا ، قال : «وجبت لك » يعني الجنة[١] .

ونُعيم بن سالم وإن تكلم فيه لكن تابعه سلمة بن وردان ، وله أصل صحيح من حديث مالك عن محمد بن شهاب عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :« من أنفق زوجين في سبيل الله نودي في الجنة : يا عبد الله هذا خير ، فمن كان من أهل الصلاة نودي من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الجهاد نودي من باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة ، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريَّان» ، فقال أبو بكر

---

(١) رواه ابن عبدالبر في «التمهيد»(١٠/ ٢٠٤-٢٠٥) بهذا السند.

ونعيم بن سالم هذا ضعيف جدًا ، بل قال ابن حبان : كان يضع على أنس بن مالك ، وقال ابن يونس : حدث عن أنس فكذب.

قال الحافظ في «اللسان»(٦/ ٢٢١) : قال ابن القطان : لا يعرف ، قلت: تصحف عليه اسمه ، وإلا فهو معروف مشهور بالضعف ، متروك الحديث وأول اسمه ياء مثناة من تحت ، ثم غين معجمة ثم نون .أ.هـ.

هكذا قال الحافظ أن الصواب أنه « يَغْنَم» وأن «نعيم» تصحيف ، غير أنه قال (ص: ٤٠٨) : وقد صحفه بعض الرواة فقال : نعيم بالنون والمهملة مصغرًا ، وهو الصواب .أ.هـ.

وقد توبع نعيم بن سالم ، فرواه أحمد(٣/ ١١٨) ، وابن أبي شيبة (٤/ رقم ١٠٩٤٠) من طريق سلمة بن وردان عن أنس به ، غير أنه ذكر بدل أبي بكر : عمر بن الخطاب.

قال أبو حاتم : سلمة بن روادن ليس بقوي ، تدبرت حديثه فوجدت عامتها منكرة ، لا يوافق حديثه عن أنس حديث الثقات إلا في حديث واحد يكتب حديثه.أ.هـ.

وقد ذكر بعد ذلك الحديث الواحد . انظر «الجرح»(٤/ ١٧٥).

رضي الله عنه : يا رسول الله ما على من يُدعى من هذه الأبواب[١] من ضرورة فهل يدعى أحد من هذه الأبواب كلها ؟ قال : «نعم» وأرجو أن تكون منهم »[٢].

هكذا رواه عن مالك موصولاً مسنداً عن يحيى بن يحيى ومعن بن عيسى وعبد الله بن المبارك .

ورواه يحيى بن بكير وعبد الله بن يوسف عن مالك عن أبي شهاب عن حُمَيد مرسلاً . وليس هو عند القعنبي مرسلاً[٣] ولا مسنداً[٤].

ومعنى قوله : « من أنفق زوجين» . يعني : شيئين من نوع واحد ، نحو: درهمين أو دينارين أو فرسين أو قميصين ، وكذلك من صلى ركعتين أو مشى في سبيل الله تعالى خطوتين أو صام يومين ونحو ذلك ، وإنما أراد – والله أعلم – أقل التكرار ، وأقل وجوه المداومة على العمل من أعمال البر ، لأن الاثنين أقل الجمع .

---

(١) في المطبوع :«الأبواب كلها ...» .

(٢) رواه البخاري (١٨٩٧) ، مسلم(١٠٢٧).

(٣) في المطبوع :«لا مرسلًا...» .

(٤) قال الحافظ في «الفتح» (٤/ ١٤٤) : قال ابن عبدالبر : اتفق الرواة عن مالك على وصله إلا يحيى بن بكير وعبدالله بن يوسف فإنهما أرسلاه ، ولم يقع عند القعنبي أصلًا.

قلت – القائل ابن حجر – : هذا أخرجه الدارقطني في «الموطآت» من طريق يحيى بن بكير ، فلعله اختلف عليه فيه . وأخرجه أيضًا من طريق القعنبي فلعله حدث به خارج الموطأ .أ.هـ.

أقول: والقعنبي هو أحد رواة الموطأ ، واسمه : عبدالله بن مسلمة بن قعنب مترجم في «السير»(١٠/ ٢٥٧).

فهذا كالغيث ، أين وقع نفع ، صَحِبَ اللهَ بلا خلق ، وصحب الخلق بلا نفس إذا كان مع الله عزل الخلائق مع[1] البين ، وتخلى عنهم وإذا كان مع خلقه عزل نفسه من الوسط وتخلى عنها ، فما أغربه بين الناس ، وما أشد وحشته منهم ، وما أعظم أُنسه بالله وفرحه به ، وطمأنينته وسكونه إليه .

واعلم[2] أن للناس في منفعة العبادة وحكمتها ومقصودها طرقًا أربعة ، فهم في ذلك[3] أربعة أصناف :

الصنف الأول : نفاة الحِكمة[4] والتعليل[5] الذين يردُّون الأمر إلى نفس المشيئة[6] وصرف[7] الإرادة ، فهؤلاء عندهم القيام بها ليس إلا لمجرد الأمر من غير أن تكون سببًا لسعادة في معاش ولا معاد ولا سببًا لنجاة وإنما القيام بها لمجرد الأمر ومحض المشيئة ، كما قالوا في الخلق : لم يخلق لغاية ولا لعلة هي المقصودة به ،

---

(١) في المطبوع :«من ...» .

(٢) انظر «المدارج» (١/ ٩١) وما بعد.

(٣) في المطبوع :«وهم في ذلك ...» .

(٤) في المطبوع :«الحِكَم ...» وهو كذلك في «المدارج».

(٥) من جهمية وأشاعرة وظاهرية وغيرهم ، انظر «منهاج السنة » (١/ ١٤١) و«الكوكب المنير»(١/ ٣١٢).

(٦) فلا يأمر سبحانه ولا ينهى عن حكمة ، بل ذلك بمجرد مشيئته.

(٧) الصِّرف: الخالص المحض.

ولا لحكمة تعود إليه منه ، وليس في المخلوقات[(١)] أسباب تكون مقتضيات لمسببات[(٢)] [(٣)] وليس في النار سبب للإحراق ، ولا في الماء قوة الإغراق ولا التبريد[(٤)] ، وهكذا الأمر[(٥)] عندهم سواء ، لا فرق بين الخلق والأمر ، لا فرق في نفس الأمر بين المأمور والمحظور ، ولكن المشيئة اقتضت أمره بهذا ونهيه عن هذا من غير أن يقوم بالمأمور [به][(٦)] صفة تقتضي حُسنَه ، ولا بالمنهي [عنه][(٧)] صفة تقتضي قبحه .

ولهذا الأصل لوازم فاسدة وفروع كثيرة[(٨)] ، وهؤلاء غالبهم لا يجدون حلاوة

---

(١) في المطبوع :«المخلوق ...» .

(٢) في المطبوع :«لمسبباتها ...» .

(٣) فهؤلاء ينكرون تأثير الأسباب ، ولا يثبتون ما خلقه الله في المخلوقات من القوى والطبائع .

قال شيخ الإسلام رحمه الله : وهو شبيه بإنكار ما خلقه الله من القوى التي في الحيوان التي يفعل الحيوان بها مثل قدرة العبد .أ.هـ من «الفتاوى»(٣/ ١١٢).

(٤) فالإحراق والتبريد إنما يحصل بالعادة الاقترانية فإذا اقترنت النار بالخشب – مثلًا – يحصل الإحراق عند الاقتران ، وليس بالنار ، قال شيخ الإسلام : ومن قال إنه يفعل عندها لا بها فقد خالف ما جاء في القرآن ....أ.هـ المرجع السابق وكذا «المدارج» .

(٥) أي أوامر الله تعالى.

(٦) زيادة من «المدارج» .

(٧) زيادة من «المدارج» .

(٨) راجع «شفاء العليل» (٢/ ١٢٧) لابن القيم.

العبادة، ولا لذتها ولا يتنعمون بها، ولهذا يسمون الصلاة والصيام والزكاة والحج والتوحيد والإخلاص ونحو ذلك تكاليف[١]، أي: كُلِّفُوا بها، ولو سَمَّى مدَّعٍ[٢] محبته ملكٍ من الملوك أو غيره ما يأمره به تكليفاً[٣] لم يُعَدَّ محبا له، وأول من صدرت عنه هذه المقالة «الجعد بن درهم»[٤].

الصنف الثاني: القدرية النفاة[٥] الذين يثبتون نوعاً من الحكمة والتعليل لا يقوم بالرب ولا يرجع إليه، بل يرجع لمحض مصلحة المخلوق ومنفعته[٦]،

---

(١) قال شيخ الإسلام: ولهذا لم يجيء في الكتاب و السنة وكلام السلف إطلاق القول على الإيمان والعمل الصالح أنه تكليف كما يطلق كثير من المتكلمة والمتفقهة، وإنما جاء ذكر التكليف في موضع النفي كقوله تعالى ﴿لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها﴾ .... أي: وإن وقع في الأمر تكليف فلا يكلف إلا قدر الوسع لا أنه يسمى جميع الشريعة تكليفًا مع أن غالبها قوة العيون وسرور القلوب لذات الأرواح وكمال النعيم.أ.هـ. من «الفتاوى»(١/ ٢٥-٢٦)، «إغاثة اللهفان»(١/ ٤٠)، و«الموافقات»(٢/ ٢١٤) وما بعد للشاطبي.

(٢) في المطبوع: «مدَّعي محبة».

(٣) في المخطوط: «تكلفًا»، والمثبت من «المدارج».

(٤) شيخ جهم بن صفوان، المبتدع الضال.

(٥) أي نفاة القدر، الذين يقولون بنفي القدرة والمشيئة عن الله في أفعال العباد وهم المعتزلة.

(٦) وهدى الله أهل السنة لما اختلف فيه من الحق، حيث أثبتوا حكمة تعود إلى الله في أفعاله وأوامره هي صفة له تعالى.

وحكمة تعود إلى المخلوق، فالطاعة التي يفعلها العبد يتلذذ ويفرح بها، ثم إن عاقبتها في الدارين العاقبة الحميدة.

فعندهم أن العبادات شرعت أثمانا لما يناله العباد من الثواب والنعيم، وأنها بمنزلة استيفاء الأجير أجره[1]، قالوا: ولهذا يجعلها سبحانه عِوضاً كقوله: ﴿ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: من الآية٤٣].

﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[النمل: من الآية٩٠].

﴿ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[2] [النحل: من الآية٣٢].

﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[الزمر: من الآية١٠].

وفي «الصحيح»: «**إنما هي أعمالكم أحصيها عليك ثم أوفيكم إياها**[3]».

قالوا: وقد سماها جزاءً وأجراً وثواباً لأنه شيء يثوب إلى العامل من عمله، أي: يرجع إليه، قالوا: ويدل عليه الموازنة، فلولا تعلق الثواب بالأعمال عوضاً عليها لم يكن للموازنة معنى، وهاتان الطائفتان متقابلتان، فالجبرية لم تجعل للأعمال ارتباطًا بالجزاء البتة، وجوزت أن يُعذِّب الله من أفنى عمره في الطاعة ويُنَعِّم من أفنى عمره في مخالفته، وكلاهما سواء بالنسبة إليه، والكل راجع إلى

فالمعتزلة نفوا النوع الأول، والأشاعرة والجهمية نفوا النوعين.

انظر: تعليقنا على «شرح الطحاوية»(ص:١٠٣).

(١) بحيث لا يكون للبائع فضل على المشتري. وانظر: «العواصم والقواصم»(٧/ ٢٩٩).

(٢) في المطبوع تقديم وتأخير بين آية النمل والنحل.

(٣) رواه مسلم (٢٥٧٧) من حديث أبي ذر ﷺ: «يا عبادي إني حرمت الظلم ....» الحديث.

محض المشيئة .

والقدرية أوجبت عليه سبحانه رعاية المصالح[١]، وجعلت ذلك كله بمحض الأعمال وأن وصول الثواب إلىٰ العبد بدون عمله فيه تنغيص[٢] باحتمال منه الصدقة عليه بلا ثمن ، فجعلوا تفضُّله سبحانه وتعالى على عبده بمنزلة صدقة العبد على العبد ، وأن[٣] إعطاءه ما يعطيه أجرة على عمله أحب إلى العبد من أن يعطيه فضلاً منه بلا عمل ، ولم يجعلوا للأعمال تأثيراً في الجزاء البته .

والطائفتان منحرفتان عن الصراط المستقيم ، وهو أن الأعمال أسباب موصلة إلى الثواب والأعمال الصالحات من توفيق الله وفضله ، وليست قدراً لجزائه وثوابه بل غايتها إذا وقعت على أكمل الوجوه أن تكون شكراً على أحد الأجزاء القليلة من نعمه سبحانه ، فلو عَذَّب أهل سماواته وأهل أرضه ؛ لعذبهم وهو غير ظالم لهم ولو رحمهم لكانت رحمته لهم خيراً من أعمالهم[٤] .

---

(١) أي للعباد ، بحيث إذا كلف أحدًا من عباده بتكليف فامتثله فلا بد أن يثيبه عليه وإذا أصاب عبدًا من عبيده بأذى فلا بد ان يجعل ذلك محققًا لصلاحه و منفعته ، راجع تعليقنا على «شرح الطحاوية»(ص:١٦٦).

(٢) في المطبوع :«تنقيص» بالقاف.

(٣) ليس في المطبوع :«أن».

(٤) قد ثبت عن جماعة من الصحابة مرفوعًا بلفظ:«لو أن الله تعالى عذب أهل سمواته وأهل أرضه عذبهم وهو غير ظالم لهم ، ولو رحمهم كانت رحمته خيرًا لهم من أعمالهم».

وتأمل قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[الزخرف:٧٢] مع قوله ﷺ: « **لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله**»[1] تجد الآية تدل على أن الجنان بالأعمال، والحديث ينفي دخول الجنة بالأعمال، ولا تنافي بينهما، لأن توارد النفي والإثبات ليس على محل واحد فالمنفيُّ باء الثمنية واستحقاق الجنة بمجرد الأعمال رداً على القدرية المجوسية التي زعمت أن التفضُّل بالثواب ابتداءً متضمن لتكدير المنة.

والباء المثبتة التي وردت في القرآن هي: باء السببية الثمنية رداً على القدرية الجبرية الذين يقولون: لا ارتباط بين الأعمال وجزائها، ولا هي أسباب لها، وإنما غايتها أن تكون أمارة[2].

والسنة النبوية هي أن عموم مشيئة الله وقدرته لا تنافي ربط الأسباب بالمسببات وارتباطها بها[3]، وكل طائفة من أهل الباطل تركت نوعاً من الحق فإنها

رواه أبو داود (٤٦٩٩)، وابن ماجة (٧٧) وأحمد(٥/ ١٨٥).

وحسنه شيخنا الوادعي رحمه الله في «الصحيح المسند» وفي «القدر»(ص:١٠٧).

(١) رواه البخاري (٥٦٧٣)، ومسلم (٢٨١٦) عن أبي هريرة.

ورواه البخاري(٦٤٦٤)، و مسلم(٢٨١٨) عن عائشة رضي الله عنها.

ورواه مسلم (٢٨١٧) عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهم.

(٢) انظر: «شرح الطحاوية» (ص:٦٨٢-٦٨٣) بتحقيقنا.

(٣) قد سبق بيان هذا.

ارتكبت لأجله نوعاً من الباطل، بل أنواعاً، فهدى الله أهل السنة لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه .

الصنف الثالث : الذين زعموا أن فائدة العبادة رياضة النفوس واستعدادها لفيض العلوم والمعارف عليها وخروج قواها من قوى النفس السبعية والبهيمية، فلوا عُطِّلت العبادة لالتحقت[١] بنفوس السباع والبهائم فالعبادة تخرجها إلى مشابهة العقول فتصير قابلة[٢] لانتقاش صور المعارف فيها . وهذا يقوله طائفتان:

إحداهما من يَقرُب[٣] إلىٰ الإسلام والشرائع من الفلاسفة القائلين بقدم العالم[٤] وعدم الفاعل المختار[٥] .

---

(١) في المخطوط :« لا لتحققت» ، والمثبت من المطبوع.

(٢) في المخطوط:«عالمة» والصواب ما أثبتناه كما في «المدارج».

(٣) في المطبوع :« تقرب» .

(٤) أي أنه غير مخلوق ؛ فهو ملازم لله أزلاً وأبدًا ؛ لأنه لو كان مخلوقًا لزم أن يكون الخالق متقدمًا على المخلوق فينتفي كونه قديمًا ؛ فالعالم حقيقته عندهم أنه وجد من غير خالق ولا صانع ، وأول من قال بهذا «آرسطو».

انظر : «الفتاوى»(٥/ ٥٣٩) و(١٨/ ٢٢٨-٢٢٩).

(٥) الفاعل المختار هو الذي إذا شاء فعل وإن شاء ترك .

انظر «الكليات» لأبي البقاء (ص:٨٦٥) .

والذي يظهر أن هذا قول الفلاسفة الطبيعيين الذي يقولون بأن الأشياء توجد من فعل الطبيعة ، والله أعلم.

والطائفة الثانية : من تفلسف من صوفية الإسلام[١] ويقرب[٢] إلى الفلاسفة فإنهم يزعمون أن العبادات رياضات لاستعداد النفوس للمعارف العقلية ومخالفة العوائد . ثم من هؤلاء من لا يوجب العبادة إلا بهذا المعنى ، فإذا حصل لها ذلك بقي متحيراً في حفظ أوراده والاشتغال بالوارد عنها ، ومنهم من يوجب القيام بالأوراد وعدم الإخلال بها ، وهم صنفان:

أحدهما من يقول بوجوبها حفظاً للقانون وضبطاً للنفوس. [٣]

والآخرون يوجبونها حفظاً للوارد وخوفاً من تدرج النفس بمفارقتها[٤] له[٥] إلى حالتها [٦]الأولى من البهيمية ، فهذه نهاية إقدامهم في حكمة العبادة وما شرعت لأجله ، ولا تكاد تجد في كتب المتكلمين على طريق السلوك غير طريق من هذه الطرق الثلاثة أو مجموعها .

---

(١)يقول الشيخ محمد حامد الفقي في تعليقه على هذا الموضع من «المدارج»(١/ ٩٦) : ليس في الإسلام صوفية ، بل كل منهما مستقل بنفسه ، فللإسلام مصادره من الكتاب والسنة وعقائده وشرائعه ، وللصوفية مصادره وعقائده وطقوسها من كتب فلاسفة الهند واليونان ، ثم كتب بن عربي والسهروردي وأشباههما .ا.هـ.

(٢) في المطبوع :«تقرب».

(٣) في المخطوط والمطبوع: « للناموس» ولا معنى له ، والمثبت من«المدارج»(١/ ٩٧).

(٤) في المخطوط :«بمفارقته» والمثبت من «المدارج» والمطبوع.

(٥) ليست في المخطوطة والمطبوعة وأثبتها من «المدارج».

(٦) في المطبوع :«حالها».

الصنف الرابع : هم القائلون[١] بالجمع بين الخلق والأمر والقدر والسبب فعندهم أن سر العبادة وغايتها مبنيٌّ على معرفة حقيقة الإلهية ومعنى كونه سبحانه إلهاً ، وأن العبادة موجب الإلهية وأثرها ومقتضاها ، وارتباطها [بها] [٢]كارتباط متعلق الصفات بالصفات ، وكارتباط المعلوم بالعلم ، والمقدور بالقدرة ، والأصوات بالسمع، والإحسان بالرحمة ، والعطاء[٣] بالجود ، فعندهم من قام بمعرفتها [٤]على النحو الذي فسرناها به لغة وشرعًا مصدراً ومورداً استقام له معرفة حكمة العبادات وغايتها[٥] ، وعَلَمَ أنها هي الغاية التي خلقت لها العباد ، ولها أرسلت الرسل ، وأُنزلت الكتب ، وخُلقت الجنة والنار .

وقد صرح سبحانه بذلك في قوله :﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾[الذريات:٥٦] ، فالعبادة هي التي وجدت لأجلها الخلائق كلها[٦] ، كما قال تعالى ﴿**أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى**﴾[القيامة:٣٦] أي مهملاً [٧] .

---

(١) وهم أهل السنة.

(٢) ليست في المخطوط وأثبتها من المدارج.

(٣) في المطبوع :«الإعطاء».

(٤) الألوهية.

(٥) في المطبوع:«وغايتها به».

(٦) في المطبوع :«هي التي ما وجدت الخلائق إلا لأجلها».

(٧) في المخطوط :«مهلاً» والمثبت من المدارج.

قال الشافعي رحمه الله : لا يؤمر ولا ينهى[١] ، وقال غيره لا يثاب ولا يعاقب.

وهما تفسيران صحيحان ، فإن الثواب والعقاب مترتب على الأمر والنهي ، والأمر والنهي هو الطلب للعبادة[٢] وإرادتها.

وحقيقة العبادة امتثالها[٣] . ولهذا قال تعالى :﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً ﴾[آل عمران: من الآية١٩١]<

وقال تعالى :﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾[الحجر: من الآية٨٥﴾ ، ﴿وَخَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾[الجاثية: من الآية٢٢].

فأخبر الله تعالى أنه خلق السماوات والأرض بالحق المتضمن أمره ونهيه وثوابه وعقابه ، فإذا كانت السماوات والأرض إنما خلقت لهذا وهو غاية الخلق فكيف يقال إنه لا غاية له ولا حكمة مقصودة[٤] ، أو إن ذلك لمجرد استئجار العمال حتى لا يتكدر عليهم الثواب بالمنة[٥] ، أو لمجرد استعداد النفوس للمعارف

---

(١) في «الرسالة» للشافعي (ص:٢٥).

(٢) في المطبوع :«طلب العبادة».

(٣) في المطبوع:«امتثالها».

(٤) كما هو قول الجبرية والجهمية وغيرهم كما مضى.

(٥) كما هو قول القدرية والمعتزلة وقد تقدم.

العقلية وارتياضها لمخالفة العوائد[(١)] .

وإذا تأمل اللبيب الفرق بين هذه الأقوال وبين ما دل عليه صريح الوحي علم أن الله تعالى إنما خلق الخلقَ لعبادته الجامعة لكمال محبته مع الخضوع لـه والانقياد لأمره .

فأصل[(٢)] العبادة محبة الله ، بل إفراده تعالى بالمحبة ، فلا يحب معه سواه ، وإنما يحب ما يحبه لأجله وفيه ، كما يحب أنبياؤه ورسله وملائكتـه لأن محبتهم مـن تمـام محبته، وليست كمحبة من اتخذ من دونه أندادًا يحبهم كحبه ، وإذا كانت المحبـة لـه هي حقيقة عبوديته وسرها فهي إنما تتحقق باتباع أمره واجتناب نهيه ، فعنـد اتبـاع الأمر والنهي يتبين[(٣)] حقيقة العبودية والمحبة ، ولهذا جعل سبحانه اتبـاع رسـوله ﷺ علماً عليها وشاهداً لها كما قال تعالىٰ :﴿**قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الله فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ الله**﴾[آل عمران: من الآية٣١] .

فجعل اتباع رسـوله مـشروطاً بمحبـتهم الله تعـالى وشرطـاً لمحبـة الله لهـم ، ووجود المشروط بدون تحقق شرطه ممتنع ، فَعُلم انتفاء المحبـة عنـد انتفـاء المتابعـة للرسول . ولا يكفي ذلك حتى يكون الله ورسوله أحب إليه ممـا سـواهما . ومتـى

---

(١) وهو قول متفلسفة الصوفية وقد تقدم.

(٢) انظر : «المدارج»(١/ ٩٩-١٠٠).

(٣) في المطبوع :«تتبين» وكذا في «المدارج».

كان عنده شيء أحب إليه منهما فهو الإشراك الذي لا يغفره قال تعالى﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[التوبة:٢٤]، وكلُّ مَن قدّم قولَ غير الله على قول الله، أو حكم به، أو حاكم إليه، فليس ممن أحبَّه.

لكن قد يشتبه الأمر على مَن يقدّم قولَ أحد أو حكمه أو طاعته على قوله ظناً منه أنه لا يأمر ولا يحكم ولا يقول إلا ما قاله[1] الرسول ﷺ، فيطيعه، ويحاكم إليه، ويتلقى أقواله كذلك، فهذا معذورٌ إذا لَم يقدر على غير ذلك[2].

---

(١) في المطبوع :«قال».

(٢) أقول الواجب علينا أن نتحرى اتباع الكتاب والسنة، أما هذا الفعل فهو التقليد، قال شيخ الإسلام في «الفتاوى» (٢٠/ ١٦٤): وليس لأحد أن ينصب للأمة شخصًا يدعو إلى طريقته، ويوالي ويعادي عليها غير النبي ﷺ، ولا ينصب لهم كلامًا يوالي عليه ويعادي غير كلام الله ورسوله وما اجتمعت عليه الأمة، بل هذافعل أهل البدع الذين ينصبون لهم شخصًا أو كلامًا يفرقون به بين الأمة، يوالون به على ذلك الكلام أو تلك النسبة ويعادون .أ.هـ.

راجع كلام ابن القيم في «إعلام الموقعين»(٢/ ١٧٣)، والشوكاني في «الفتح الرباني»(٥/ ٢١٣٧-٢١٣٨).

وأما إذا قدِرَ على الوصول إلى الرسول ﷺ[1] ، وعرف أن غير مَن اتبعه أولى به مطلقاً أو في بعض الأمور كمسألة معينة ، ولَم يلتفت إلى قول الرسول ، ولا إلى قول[2] مَن هو أولى به ، فهذا يُخاف عليه ، وكل ما يتعلل به من عدم العلم ، أو عدم الفهم ، أو عدم إعطاء آلة الفقه في الدين ، أو الاحتجاج بالأشباه والنظائر[3] ، أو بأن ذلك المتقدم كان أعلم مني بمراده صلى الله عليه وسلم ، فهي كلها تعللات لا تفيد[4] .

هذا مع الإقرار بجواز الخطأ على غير المعصوم ، إلا أن ينازع في هذه القاعدة ،

---

(١) أي أقواله وأفعاله وأخباره ﷺ .

(٢) ليس في المطبوع .

(٣) قال الحموي في «عيون البصائر» (١/ ١٨) في تعريف الأشباه والنظائر : المراد بها المسائل التي تشبه بعضها بعضًا مع اختلافها في الحكم لأمور خفية أدركها العلماء بدقة أنظارهم .أ.هـ. نقلًا من مقدمة «الأشباه والنظائر»(١/ ١٤) لابن الوكيل.

قلت : فيكون معنى الكلام : أن المقلد إذا قيل له لم قلدت؟ فيقول : أنا قلدت فلانًا لأنه على إدراك وفهم لدقائق المسائل.

ويحتمل أن يكون المعنى : أن المقلد قد يحتج على تقليده بتلك الآيات والأحاديث والآثار التي فيها بعض الاحتمالات الضعيفة بل الغير مرادة في جواز التقليد فيتمسك بها، وهي في الأصل إذا أمعن النظر لوجدها حجة عليه.

وقد فندها ابن القيم في «إعلام الموقعين» ، والشوكاني في «القول المفيد» والحمد لله.

(٤) راجع «إعلام الموقعين»(٢/ ١٨٢-٢٦٠) فقد بين ابن القيم فساد حجج هؤلاء.

فتسقط مكالمته، وهذا هو داخل تحت الوعيد، فإن استحل مع ذلك ثَلبَ[١] مَن خالفه، وقَرَضَ عِرضَه ودينه بلسانه، أو انتقل من هذا إلى عقوبته، أو السعي في أذاه، فهو من الظلمة المعتدين ونواب المفسدين.

واعلم[٢] **أنَّ العبادة أربع قواعد**، وهي: التحقق[٣] بما يحب الله ورسوله ويرضاه، وقيام ذلك بالقلب واللسان والجوارح، فالعبودية اسم جامع لهذه المراتب الأربع، فأصحاب العبادة حقًا هم أصحابهم.

فقول القلب: هو اعتقاد ما أخبر الله تعالى عن نفسه، وأخبر رسوله عن ربه من أسمائه وصفاته وأفعاله وملائكته ولقائه وما أشبه ذلك.

وقول اللسان: الإخبار عنه بذلك، والدعاء إليه، والذب عنه، وتبيين بطلان البدع المخالفة له، والقيام بذكره تعالى، وتبليغ أمره.

وعمل القلب: كالمحبة له والتوكل عليه والإنابة والخوف والرجاء والإخلاص والصبر على أوامره ونواهيه، وإقراره والرضا به وله وعنه والموالاة فيه والمعاداة فيه والإخبات[٤] إليه، والطمأنينة به[٥]، ونحو ذلك من أعمال

---

(١) الثَّلْب: التصريح بالعيوب والتنقّص، والمثالب: العيوب. انظر «مختار الصحاح».

(٢) انظر: «المدارج»(١/ ١٠٠) وما بعدها.

(٣) في المطبوع: «التحقيق».

(٤) الإخبات: الخشوع.

(٥) ليس في المطبوع: «به».

القلوب التي فرضُها آكد من فروض[1] أعمال الجوارح ، ومستحبُها إلى الله تعالى أحبُّ من مستحب أعمال الجوارح[2] .

وأما أعمال الجوارح : فكالصلاة والجهاد ونقل الأقدام إلى الجمعة والجماعات ومساعدة العاجز والإحسان إلى الخلق ، ونحو ذلك ، فقول العبد في صلاته[3]: ﴿إياك نعبد﴾ التزام أحكام هذه الأربعة وإقرار بها .

وقوله : ﴿ وإياك نستعين﴾ طلب الإعانة عليها والتوفيق لها ، وقوله : ﴿اهدنا الصراط المستقيم ﴾ متضمن للأمرين على التفصيل ، وإلهام القيام بهما ، وسلوك طريق السالكين إلى الله .

---

(١) في المطبوع :«فرض» .

(٢) راجع هذا في «المدارج»(١/ ١٠٩) وما بعده.

هذا آخر ما يسره الله لنا من التعليقات على هذه الرسالة ، والحمد لله أولًا وآخرًا والصلاة والسلام على محمد عبدالله ورسوله وعلى آله وصحبه .

(٣) في المطبوع :«صلواته».

كتبه

ياسين بن علي بن سالم الحَوشبي العدني

اليمن – صعدة – دار الحديث في دماج

رحم الله بانيها وغفر له ذنبه

من إصداراتنا:

مخالفة الصوفية الشافعية

للإمام الشافعي

بقلم

عبد الخالق بن محمد العماد الوصابي

تقديم

فضيلة الشيخ يحيى بن علي الحجوري

من إصداراتنا:

الثمـرات الجنيـة

بشرح المنظومة البيقونية

تأليف

أبي مالك الرياشي أحمد بن علي المثني القفيلي

من إصداراتنا:

ثلاث رسائل في التصوف

كيف نفهم التوحيد

تأليف/ الشيخ محمد بن أحمد باشمسل الحضرمي

الصوفية في ميزان الكتاب والسنة

تأليف/ الشيخ محمد بن جميل زينو

أعترافات كنت قبوريًا

تأليف/ الشيخ عبد المنعم الجداوي

تعليق وتحقيق

أبي الحسن علوي بن عمر بن محمود الحضرمي

من إصداراتنا











